التاريخ السياسى
لقلعة رباح ودورها فى حوادث
الصراع بين المسلمين والنصارى

دكتور
حمدى عبد المنعم محمد حسين
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

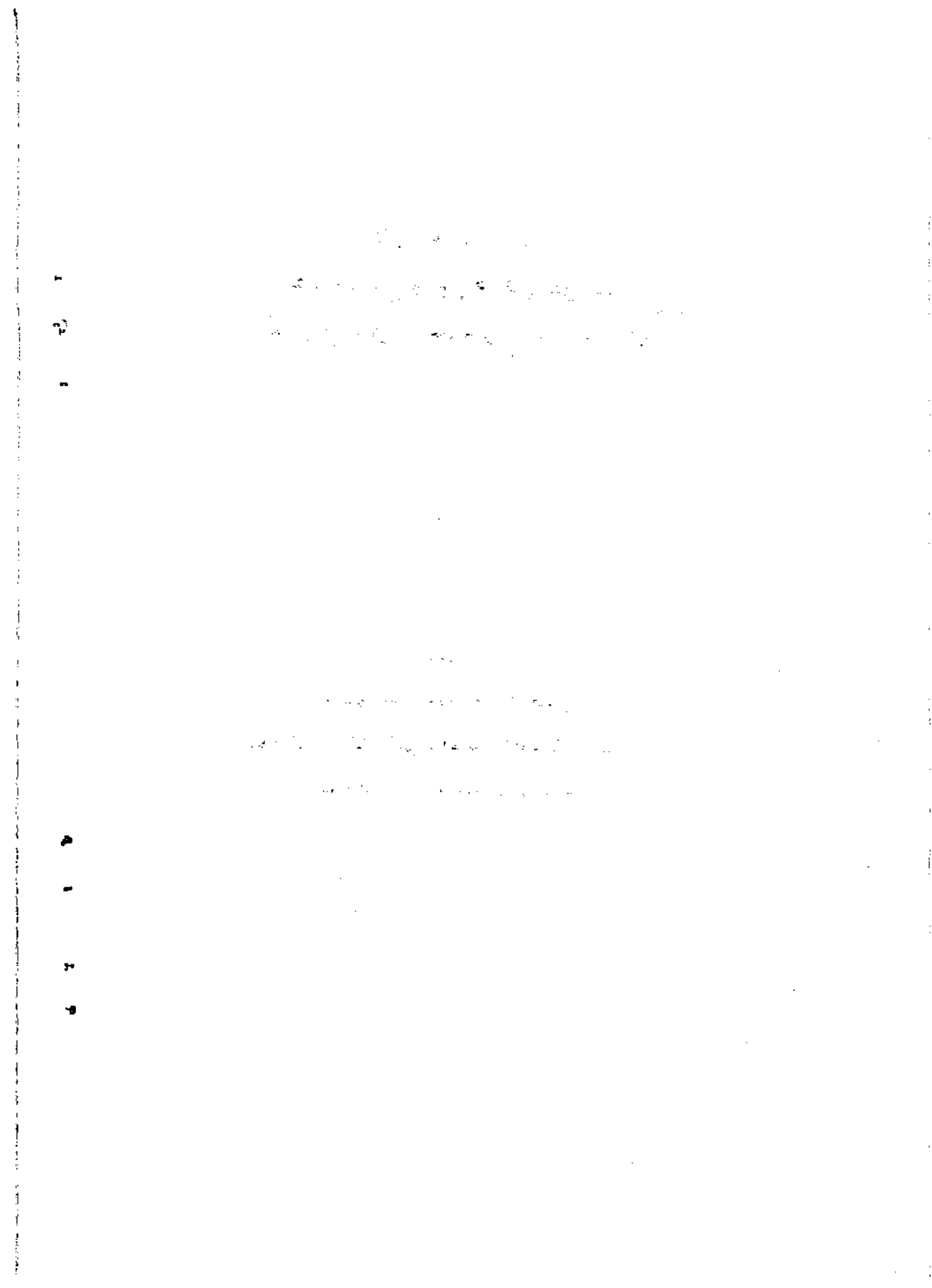

يتناول موضوع البحث دراسة للتاريخ السياسى لقلعة رباح (بالأسبانية calatrava)[١] ودورها فى حوادث الصراع بين المسلمين والنصارى فى الأندلس. والواقع أن الذى دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع هو أحساسى بأهمية الدور الذى لعبته هذه القلعة على مسرح الأحداث السياسية فى الأندلس لاسيما خلال عصرى المرابطين والموحدين، اذ كانت محورا للصراع بين القوى الاسلامية والقوى الصليبية من جهة فضلا عن قلة ما كتب فى هذا الموضوع الأمر الذى شجعنى على اختياره والبحث فيه عسانى ان اتوصل الى حقائق جديدة تلقى الضوء على جانب من أهم جوانب الصراع بين المسلمين والنصارى وهو الحروب الصليبية فى الأندلس.

(١) التاريخ السياسى لقلعة رباح من الفتح الأسلامى الى نهاية العصر الآموى.

تقع قلعة رباح على ضفة وادى آنة شمال مدينة قرطبة.(Cordoba) وجنوب مدينة طليطلة (Toledo)[٢] وهى مسماه على الأغلب باسم التابعى

---

(١) قلعة رباح Calatrava هى التى يقوم فى مكانها الآن حصن يعرف باسم قلعة رباح القديمة Castillo de Calatrava la Vieja إذ أن هناك إلى جوارها مدينة أخرى تعرف باسم قلعة رباح الجديدة la nueva وكانت قلعة رباح تتبع فى العصر الاسلامى مدينة جيان إلا أنها تتبع الآن المدينة المستحدثة المعروفة باسم المدينة الملكية Ciudad real فى إقليم لامانشا La Mancha وقلعة رباح القديمة تبعد اليوم عن هذه المدينة باثنى عشر كم إلى الشمال منها.
راجع:
The Encyclopedia of islam, vol, 11, Holland 1927, p. 846 - 847.

(٢) الادريسى (الشريف ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز): صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس. مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، تحقيق دى غوية ودوزى، ليدن ١٨٦٤م ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ ابن غالب (الحافظ محمد بن ايوب الاندلسى): قطعة من كتاب "فرحة الانفس فى تاريخ الأندلس"==

على بن رباح اللخمى[1] الذى اشترك فى فتح الأندلس. وكانت قلعة رباح من أهم المراكز الحربية التى تتوجه منها الحملات العسكرية الأموية الى مدينة طليطلة، وقد جاء ذكرها لأول مره فى المصادر التاريخية الأندلسية فى حوادث عام ٢١٩هـ (٨٣٤م) عندما أرسل الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الاوسط) جيشا بقيادة أخيه أميه بن الحكم صوب مدينة طليطلة[2] فحاصرها، وقطع أشجارها وأهلك زروعها ولكن أهلها لم يذعنوا للطاعة، فاضطر أمية بن الحكم الى رفع الحصار عنها وأبقى بقلعة رباح بعض قواته بقيادة ميسرة الفتى للاستمرار فى مضايقة أهل طليطلة،

== تحقيق د.لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، المجلد الأول، الجزء الثانى، نوفمبر ١٩٥٥م ،ص٢٨٩، الحميرى (ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى، الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٠ ص ٤٦٩.

(١) عن على بن رباح اللخمى ودوره فى فتوحات الاندلس وكيف ارسله موسى بن نصير مع مغيث الرومى الى دمشق لابلاغ الخليفة الوليد بن عبد الملك أخبار الفتوحات. راجع المقرى (احمد بن محمد التلمسانى). نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد فى عشرة أجزاء، الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٤٩م، ج١ ، ص ٢٦٠ ج٤، ص٧، مؤنس (د. حسين)، فجر الاندلس، دراسة فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الاموية، الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٥٩م ، ص ٨٩ ، ٩٩

(٢) كانت مدينة طليطلة قد عادت للثورة فى عهد الامير عبد الرحمن بن الحكم ففى عام ٢١٤هـ(٨٢٩م) اندلعت الثورة بها وتزعمها هاشم الملقب بالضراب، فسير اليه الأمير عبد الرحمن الأوسط جيشا بقيادة محمد بن رستم عامله على الثغر الأدنى الاندلسى، الا أن محمد بن رستم فشل فى إخماد ثورة الضراب، بل إمتد نفوذه حتى هدد الثغر الادنى كله. مما اغضب الامير عبد الرحمن وكتب إلى محمد بن رستم يعنفه ويتهمه بالتقصير فى محاربة الضراب. وفى عام ٢١٦هـ(٨٣١). جهز عبد الرحمن جيشا كبيرا أمد به محمد بن رستم، وأمره بالزحف الى هاشم الضراب وإخضاعه، والتقى ابن رستم بهاشم الضراب وبعد =

مما دفع سكانها إلى الخروج من مدينتهم ومهاجمة قلعة رباح، فلما علم ميسرة الفتى الصقلبى بتحركاتهم أعد لهم الكمائن، فلما أقتربوا من قلعة رباح خرجت عليهم الكمائن من كل جانب، فأوقع بهم، وقتل عددا كبيرا من رجالهم فلما رأى ميسرة الفتى الصقلبى رؤوس القتلى إرتاع وداخله الندم ولم يلبث إلا قليلا حتى مات ندما وأسفا[1] وفى العام التالى (٢٢٠ هـ/٨٣٥م) خرج الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الاوسط) من قرطبة غازيا، فيمم وجهه أولا صوب مدينة طليطلة،

===معارك عنيفة إستمرت عدة ايام دارت فيها الدائرة على هاشم الضراب الذى سقط صريعا هو وكثير ممن كانوا يشايعونه. ومع ذلك واصلت طليطلة ثورتها، فأرسل إليهم الأمير عبد الرحمن الأوسط هذا الجيش بقيادة أخيه أمية بن الحكم.

راجع:

ابن الاثير (ابو الحسن على بن أحمد بن أبى الكرم) : الكامل فى التاريخ، طبعة القاهرة، ١٣٥٣هـ، ج٥، ص ٢١٩، ابن عذارى المراكشى (ابو عبد الله محمد): البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب، الجزء الاول والثانى والثالث، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، الجزء الرابع خاص بتاريخ المرابطين، نشر وتحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٧ والقسم الخاص بالموحدين، تحقيق محمد ابراهيم الكتانى، ومحمد بن تاويت، ومحمد بن تاويت ومحمد بن زنيبر، وعبد القادر زمامة، الطبعة الاولى، الدار البيضاء ١٩٨٥م ، ج٢ ، ص٨٣ ، عنان(أ. محمد عبد الله): دولة الاسلام فى الاندلس، فى جزئين، القاهرة ١٩٦٠ ، ق١ ، ص٢٥٨

(١) ابن الاثير، المصدر السابق، ج٥ ، ص ٣٣٢ ، ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٨٤ ، النويرى (احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى التميمى القرشى): نهاية الارب فى فنون الادب، الجزء الثانى والعشرين، نشر جاسبار راميرو، غرناطة ١٩١٦ – ١٩١٧م، ص١٩٨،١٩٩ عنان، المرجع السابق، ق٢ ،ص٢٥٨ ، ٢٥٩ سالم (د. السيد عبد العزيز) تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس الطبعة الاولى، بيروت ١٩٦٢ ص ٢٣٠ ، ٢٣١.

Levi Provencal : Histoire de l'Espagne Misulmane, 3 vols, Leiden 1950 - 1954, vol 1, p. 201

وولى أبا الشماخ اليمانى[1] قلعة رباح خلفا لمسيرة الفتى الصقلبى وأبقى معه جيشا للتضييق على أهل طليطلة، بينما سار عبد الرحمن بن الحكم الى مدينة ماردة لاخضاعها[2] وفى عام ٢٢١هـ (٨٣٦م) خرج جماعة من أهل طليطلة يتزعمهم

---

(١) ابو الشماخ اليمانى كان زعيم اليمنية فى مدينة تدمير، وفى أوائل عصر الامير عبد الرحمن الاوسط نشبت فتنة فى تدمير بين اليمنية والمضرية، وكان سبب هذه الفتنة ان أحد المضريين المقيمين بتدمير انتزع ورقة دالية من جنات يمانى، فقتله اليمانى، فقامت الحرب بين العصبيتين المضرية واليمنية، وقتل كثير من الفريقين، فبعث الأمير عبد الرحمن اليهم حملة بقيادة يحيى بن عبد الله وعينه واليا على تدمير فألتقى معهم فى موقعة تعرف بوقعة المصارة بلورقة قتل منهم نحو ثلاثة آلاف ولكنه لم يفلح فى اخضاع الولاية الثائرة، واستمرت الفتنة على اشدها، وغلب على تدمير أبو الشماخ زعيم اليمنية. وفى سنة ٢٠٩هـ (٨٢٥م) ارسل الأمير عبد الرحمن قائده امية بن معاوية بن هشام الى تدمير واشتبك مع اليمنية بقيادة ابى الشماخ فقضى على عدد كبير منهم، ولكن ابو الشماخ لبث بضعة أعوام يتحدى سلطة الحكومة المركزية فى قرطبة، والبعوث تتردد اليه فى كل عام دون أن تنال منه منالا، ولم تهدأ الفتنة إلا فى سنة ٢١٣هـ (٨٢٨م) حيث خضع ابو الشماع وغيره من الزعماء، وطلبوا الأمان، وعادوا الى الطاعة، ومن المرجح أن الامير عبد الرحمن بن الحكم قد استعان بابى الشماخ ليكسب وده فعينه واليا على قلعة رباح.

راجع : ابن القوطية (ابو بكر محمد بن عمر القرطبى): تاريخ إفتتاح الاندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م، ص ٦٧ ، ٦٨ عنان دولة الاسلام، ق١ ، ص ٢٥٥، سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٣١،

Levi provenca, Histoire, vol, 1,p. 198 - 199.

(٢) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٥ ، ص٢٣٧ ، ابن عذارى، البيان المغرب جـ٢ ، ص٨٤ ، النويرى، نهاية الأرب، جـ٢٢ ص ١٩٩، عنان دولة الاسلام، ق١ ، ص ٢٥٩، سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٣١،

Levi provenca, Histoire, vol, 1,p. 201.

مهاجر بن القتيل[1] الى قلعة رباح، وانضموا الى جيش الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتفقوا جميعا على حصار طليطلة فضيقوا على أهلها، واستمر حصارها لها الى العام التالى (٢٢٢هـ/ ٨٣٧م)، فسير اليهم الأمير عبد الرحمن بن الحكم جيشا بقيادة أخيه الوليد بن الحكم، فرأى الوليد أهلها وقد بلغ بهم الجهد والأعياء كل مبلغ، وأشتدعليهم الحصار وضعفوا من القتال، ففتحها الوليد بن الحكم عنوة يوم السبت الثامن من رجب سنة ٢٢٢ هجرية (الخامس عشر من يونيو سنة ٨٣٧م)[2].

ظلت قلعة رباح على ولائها لسلطة الاماره الأموية، الى عام ٢٣٩هجرية (٨٥٣م) ففى هذا العام سير الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ هـ - ٢٧٤هـ/٨٥٢-٨٨٦م) جيشا بقيادة أخيه الحكم بن عبد الرحمن الى قلعة رباح وكان أهل طليطلة قد خربوا أسوارها، فأعاد من فارقها من أهلها اليها وأصلح أحوالها وترك بها حامية

---

(١) عقب فشل ثورة الربض التى أندلعت فى قرطبة عام ٢٠٢هـ (٨١٨م) خرجت طائفة كبيرة من أهل قرطبة الى مدينة طليطلة واستقروا بها. وقد اشار ابن سعيد المغربى الى هذه الطائفة التى لحقت بطليطلة وذكر أنهم كاتبوا مهاجر بن القتيل الذى كان قد لحق بدار الحرب وولوه عليهم. ومن المرجح أن مهاجر بن القتيل قد عاد الى طاعة الحكومة المركزية فى قرطبة ولاسيما بعد اصدار العفو عن جميع من اشترك فى ثورة الربض، بدليل انضمامه الى جيش الامارة الاموية الذى كلف باخماد ثورة طليطلة.
راجع: ابن سعيد المغربى (ابو الحسن على ابن موسى): المغرب فى حلى المغرب، تحقيق د. شوقى ضيف، فى جزئين. دار المعارف، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٥، ج١ ، ص ٤٢ ؛ Levi Provencal, Histoire, vo, 1 , p. 169.

(٢) ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج٥ ، ص ٢٤٥ ، ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ، ص٨٤ ، ٨٥ ، النويرى، نهاية الارب، ج٢٢ ، ص ١٩٨ - ١٩٩، عنان، دولة الاسلام، ق١ ، ص ٢٥٩، سالم، تاريخ المسلمين، ٢٣١؛
Dozy R. Historie des Musulmanes d'Espagne, Leiden, 1932, Vol, 1,P. 250, 251; Levi Provencal Historie, Vol, 1, P. 201, 202.

كبيرة للدفاع عنها[1] وفى عام ٢٤١هـ (٨٥٥م) اضطر الأمير محمد بن عبد الرحمن الى تحصين قلعة رباح وشحنها بالجند وعين عليها حارث بن بزيع[2]

---

(١) ابن حيان (ابو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبى): المقتبس من انباء أهل الاندلس، حققه وقدم له وعلق عليه د. محمود على مكى، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ابن الأثير الكامل فى التاريخ، ج٥ ، ص ٢٩٣، ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ، ص ٩٤ ، عنان، دولة الاسلام، ق١ ، ص٢٩٢، سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٤٥.

R. Dozy, Histoire, Vol; 1, p. 260;
Aguado Bleye: Manual de la Historia de Espana,
T, 1, Madrid, 1947. p. 322,323
Levi provencal, Histoire, Vol, p. 292.

(٢) الحارث بن بزيع كان من كبار قواد الامير عبد الرحمن بن الحكم (الاوسط) وقد تحدث صاحب أخبار مجموعة عن أولية أبية بزيع وصلته بعبد الرحمن بن معاوية (الداخل) فقال أنه لما قام حيوة بن ملامس بالثورة فى اشبيلية وثار معه عبد الغافر اليحصبى ودارت الهزيمة على هذين فى عام ١٥٤هـ(٧٧١م) قام عبد الرحمن بشراء عدد من العبيد ممن حسن بلاؤهم فى المعركة وكان من بينهم بزيع والد الحارث بن بزيع. أما الحارث فقد ظهر أمره أيام الامير عبد الرحمن الاوسط فقد عهد اليه بقيادة الجيش الذى توجه من قرطبة الى الثغر حينما أعلن موسى بن موسى العصيان سنة ٢٢٧هـ(٨٤٢م) فالتقى به فى برجه وظهر الحارث بن بزيع على موسى بن موسى ثم فتح برجه واسر فيها لب بن موسى وحاصر تطيلة بعد ذلك حتى أخرج موسى عنها، ثم انصرف الحارث بن بزيع الى سرقسطة مقر ولايته، وكان يخرج بعد ذلك الى ارنيط المرة بعد المرة لكى يرهق موسى بن موسى، غير أن هذا تمكن أخيرا من تدبير كمين له فى موضع بلمة على نهر ابرة، فأوقع به هناك وأسره، وأقام الحارث أسيرا لديه مدة تسعة أشهر، فغزا الامير عبد الرحمن الاوسط الى بنبلونة فى نفس السنة لكى يقتص من فعل موسى بقائده حارث بن بزيع. وفى السنة التالية (٢٢٨ هـ/٨٤٣م) غزا الامير عبد الرحمن الاوسط موسى غزوة أخرى، فصالحه موسى واطلق سراح الحارث بن بزيع، ثم ولاه على طليطلة وعزله عنها سنة ٢٣٢هـ(٨٤٧م) ثم ولاه الامير محمد بن عبد الرحمن على قلعة رباح
راجع: مؤلف مجهول(كتاب أخبار مجموعة فى فتح الاندلس، نشرة دون ===

للتضييق على أهل طليطلة(١).

وفى العام التالى (٢٤٢هـ/٨٥٦م) بعث الأمير محمد بن عبد الرحمن انه المنذر بالصائفة فاحتل قلعة رباح فى طريقه الى طليطلة التى حاصرها وانتسف ماحولها.(٢) وينفرد ابن حيان فى سياق تاريخه لحوادث عام ٢٥٩هـ (٨٧٣م) بالاشارة الى تمرد أحد زعماء البربر ويدعى ابن يامين البربرى وامتناعه بجبل البرانس، وأن مسعود بن عبد الله العريف قائد طلبيرة(٣) وامر حارث بن بزيع عامله على قلعة رباح باخماد ثورة ابن يامين البربرى، والقاء القبض عليه وتسليمه للأمير محمد بن عبد الرحمن، فلما جاء الامير محمد الى طلبيرة (Talavera) أمر بصلب ابن يامين وأصحابه على

=== لافونتى القنطرة، مدريد، ١٨٦٧م ص٤٠٩ ، ٤١٠ ، ابن الاثير الكامل فى التاريخ، ج٥ ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ابن عذارى البيان الغرب، ج٢ ، ص ٩٥ النويرى، نهاية الارب، ج٢٢ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١؛

Levi provencal, Histoire, vol 1, p. 208, 216, 257 . 290, 292

(١) ابن عذارى ، نفسه، ج٢ ، ص٩٥، النويرى، نفسه، ج٢٢ ص ٢٠٦

(٢) ابن حيان المصدر السابق، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ابن عذارى المصدر السابق،ج٢، ص٩٦ ، عنان، دولة الاسلام، ق١ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، سالم تاريخ المسلمين، ٢٤٥؛

Levi-proven cal, Ibid . p. 294

(٣) طلبيرة Talavera مركز من اعمال مدينة طليطلة، وكانت من أقصى ثغور المسلمين وأهمها وتقع فى هضبة تتوسط شبة الجزيرة وتعتبر لذلك بابا من الابواب التى تتوجه منها الجيوش الاسلامية الى ارض قشتالة وجليقية وتطل طلبيرة على نهر تاجة Eltajo وتبعد عن طليطلة بنحو ثمانين كيلو مترا الى غربها مع بعض الانحراف تجاه الشمال. وقد وصفها الحميرى بقوله."وهى مدينة كبيرة وقلعتها ارفع القلاع حصنا ومدينتها اشرف البلاد حسنا، وهو بلد واسع الساحة كثير المنافع، به أسواق وديار حسنه، ولها على نهر تاجه ارحاء كثيرة ولها عمل واسع ومزارعها زاكية.

راجع: الحميرى، الروض المعطار، ص ٣٩٥ ، وانظر ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود على مكى، تعليق رقم ٥٤٣ ص ٦١٤ ، ٦١٥ ، الادريسى صفة=

أسوار مدينة طليطلة[1]. وفى نفس العام سار الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط بجيشه غازيا الى مدينة طليطلة، فنازلها فى شهر شعبان (٢٥٩هـ/٨٧٣م) وحاصرها وقاتله أهلها قتالا عنيفا، حتى إذا ما أشتد عليهم الحصار استأمنوه، فعقد لهم الامان وأخذ رهائنهم وفى نفس الوقت أمر الامير محمد باعادة بناء ماتهدم من قلعة رباح وأعاد اليها ما كان تفرق من أهلها.[2]

ظلت قلعة رباح على ولائها للحكومة المركزية فى قرطبة حتى اندلعت الثورة فى انحاء الاندلس فى عصر الامير عبد الله بن عبد الرحمن الاوسط (٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) ولا سيما ابان ثورة سوار بن حمدون المحاربى القيسى[3] فى مدينة البيرة[4].

===المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ١٨٧.

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود مكى، ص ٣٣٠.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، ص ٣٣٤.

(٣) هو سوار بن حمدون بن عبده بن زهير بن زهير بن ديسم بن قديره بن هنيده. وهو من بنى محارب بن خصفة بن قيس عيلان وكان جده الاعلى قد نزل فى قرية قربسانة الواقعة الى الغرب من مدينة غرناطة. عن سوار بن حمدون.
راجع: ابن حزم (ابو محمد على بن احمد بن سعيد): جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ابن الابار(ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى) الحلة السيراء تحقيق د. حسين مؤنس. الطبعة الاولى، فى جزئين، القاهرة ١٩٦٣م ج١ ، ص ١٤٧ ، ابن الخطيب الاحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، اربعة مجلدات القاهرة ١٩٧٣ - ١٩٧٩م، ج ٤ ص ٢٧٠ .

(٤) البيرة Elvira كانت من كبريات حواضر جنوب شرق الاندلس وأصل أسمها ايبيرى قديم مركب من Berri – ili اى المدينة الجديدة وبها نزل جند دمشق حينما فتح العرب أسبانيا، وبساحل البيرة كان نزول الامير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) حين عبوره الى الاندلس سنة ١٣٨هـ (٧٥٥م)، ثم خربت البيرة فى الفتنة القرطبية وانتقلت عاصمة اقليمها الى غرناطة وأصبحت البيرة تابعة لها.

ولقد عرف سوار بشجاعته وجرأته فى الحرب وقدرته على تأليف القلوب، وقد بولغ فى اعلاء شأنه والثناء عليه فقيل "لولا أن الله من على العرب بسوار ونصره لما أبقى العجم والمولدون منهم أحد"(١). وبعد أن ولى سوار رئاسة عرب البيرة خاطب زعماء العرب فى الكور المجاورة يدعوهم الى نصرته، فانضوى اليه العديد من البيوتات العربية، وعندما رأى سوار من نفسه القوة توجه بمجموعة لاسترداد حصن منت شاقر الواقع الى الشمال الشرقى من مدينة غرناطة، وكان قد اجتمع فيه من المولدين والنصارى حوالى ستة الاف رجل، فحاصرهم وضيق عليهم الخناق الى ان خرجهم قسرا منه، ثم استمر فى تطهير الحصون التابعة للمولدين وحلفائهم النصارى، ولذا حشد المولدون حشودهم ضد العرب، كما نجحوا فى تأليب جعد بن عبد الغافر عامل الامارة الاموية على البيرة ضد العرب فبادر باجابتهم الى طلبهم، وخرج على رأس جيش كبير من المولدين وحلفائهم، وقصد بهم سوار وحلفاءه من العرب،فاصطدم الفريقان بعنف، وانتهى الامر بانتصار سوار، أما جعد فقد وقع فى الاسر. وقد سميت هذه المعركة "بوقيعة جعد" وقد ارتفع نجم سوار بعد انتصاره على المولدين وحلفائهم وكاتبه عرب النواحى وامتدت رياسته حتى قلعة رباح التى أعلنت الولاء والخضوع له(٢) وقد خلف سوار بن حمدون فى رئاسة عرب البيرة سعيد بن سليمان بن جودى،

راجع: ابن الخطيب، الاحاطة فى أخبار غرناطة، ج١ ، ص ٩٩ – ١٠٠ الحميرى، الروض المعطار ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١ ، ص ١٤٨ ، ابن الخطيب، الاحاطة فى اخبار غرناطة، ج٤ ، ص ٢٧٠ .

(٢) بن حيان، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس، نشرة الأب ملشور انطوانية باريس ١٩٣٧م. ص٥٥ ،٥٦ ، ٦٢٠ ، ابن الأبار، الحلة السيراء ج١، ص١٤٨ ، ١٤٩ ، ابن عذارى، البيان المغرب،ج٢ ص١٣٣ ،ابن الخطيب الاحاطة،ج٤ ، ص٢٧١.
Levi Peovencal, Histoire, Vol, 1, P . 354.

وكان من قبيلة هوازن التى تعد احدى القبائل القيسية، وسجل له الامير عبد الله على كورة البيرة بكاملها،[1] وقد استمر على سياسة سلفة فى التعصب للعرب ومحاربة اعدائهم: "حتى هوت اليه افئدتهم وقصدوه من كل كورة"[2] ويشير ابن حيان الى ان أهل قلعة رباح استمروا على ولائهم لسعيد بن جودى عقب وفاة سوار بن حمدون[3] يؤكد ذلك ما رواه ابن حيان فى تاريخه لحوادث عام ٢٩٨هـ (٩١٠م) اذ يشير الى قيام القائد الاموى عباس بن عبد العزيز بغزو قلعة رباح "اذ كان اهلها على خلاف وشقاق فافتتحها"[4] وفى عام ٣٠٠هـ (٩١٢م) انترى الفتح بن موسى بن ذى النون[5] ومعه

---

(١) ابن حيان، المصدر السابق، ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ١٢٣ ، ابن الأبار المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٧٧.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر ملشور انطونية، ص ٢٩.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٥) ينتسب بنوذى النون الى ذى النون بن سليمان بن طوريل بن الهيثم بن اسماعيل بن السمح بن ورد بن حيقن الهوراى اى انهم من قبيلة هواره البربرية. وكان أول من دخل الاندلس منهم هو اسماعيل بن السمح. اما عن ذى النون فقد كان زعيما لشنت برية(santaver) وقد مر به الامير محمد ابن عبد الرحمن الاوسط فى بعض غزواته الى الثغر وقد مرض خصى من أكابر فتيانه الصقالبة، فتركه عند ذى النون يقوم برعايته ففعل ذو النون ما أراده من ذلك، وبالغ فى الاهتمام بالفتى الى أن برأ من علته، ولم يكتف بذلك، بل جاء بنفسه الى قرطبة بصحبة الفتى فكافأه الامير محمد ابن عبد الرحمن بأن ولاه على ناحيته وقدمه على قومه وارتهن منه بعض ولده، فأعترف ذو النون بفضل الامير عليه وشكر نعمته وظل على طاعته الى أن توفى فولى مكانه ابنه موسى بن ذى النون الذى كان رهينة عند الامير محمد الا انه نبذ الطاعة وأخذ فى توسيع منطقة نفوذه، فأستولى على طليطلة سنة ٢٧٤هـ (٨٨٨م)، ولكن أهل طليطلة استدعوا أسرة بنى قسى من الثغر الأعلى الاندلس وفتحوا لهم ابواب مدينتهم سنة ٢٨٣هـ (٨٩٧م) وتخلصوا بذلك من بنى ذى النون وقد توفى بن ذى النون سنة ٢٩٥هـ (٩٠٧م) وتوزعت السلطة بين ابنائه الثلاثة: يحيى والفتح والمطرف.

محمد بن ادريس الرباحى المعروف بابن ارذبلش[1] بقلعة رباح وأحوازها، فسير اليهما الامير عبد الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ/٩١٢-٩٦١) جيشا بقيادة الوزير القائد عباس بن عبد العزيز القرشى حيث دارت بينهما معارك شديدة هزم فيها الفتح وقتل الكثير من رجاله وفر الى معاقله، بينما تمكن عبيد الله بن فهر عامل الامير عبد الرحمن بن محمد على قلعة رباح من قتل ابن ارذبلش، وبعث برأسه الى مدينة قرطبة فرفعت فوق باب السدة[2] وذلك فى العاشر من ربيع

===راجع: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ابن حيان ، المقتبس، تحقيق محمود مكى، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ ، تحقيق ملشور انطونية، ص ١٧ ، ١٨ .

(١) هو محمد بن ادريس البكرى الرباحى وقد عرف بابن ارذبلش كان يسكن قلعة رباح، فأخرجه الاهالى منها، وعندئذ لجأ الى حصن ملقون الواقع الى الشمال من قلعة رباح، وبدأ يشن الغارات عليهم منه، ثم تحالف مع الفتح بن موسى بن ذى النون.
راجع: ابن حيان، المقتبس. نشر ملشور أنطوني، ص١٧. وعن حصن ملقون راجع الأدريسى، صفه المغرب، ص١٨٨ - ١٨٩.

(٢) يعتبر باب السدة الباب الرئيسى لقصر الخلافة بقرطبة. وكان يقع على مقربة من الرصيف ويعلوه السطح المشرف. ولعل شهرة هذا الباب راجعه الى كونه مخصصا لشنق أو صلب الخارجين عن الطاعة وتعليق جثثهم عليه، فرفعت عليه رأس فضل بن سلمه المنتزى بحصن أشر الواقع على مقربة من قلعة رباح عام ٢٩٨ (٩١٠ - ٩١١م) ورأس محمد بن ادريس الرباحى المعروف بابن ارذبلش المشار اليه فى المتن وهى اول رأس رفعت على باب السدة فى عصر الامير عبد الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) كما صلب على باب السدة فى جمادة الآخرة عام (٣٠٠هـ / يناير ٩١٣م) محمد بن يوسف، الجيانى، وكان من أهل الفساد والقدح فى الخلافة. وفى عام ٣١٣هـ/٩٢٥م صلب على باب السدة أحد اصحاب الثائر الاندلسى عمر بن حفصون وهو الرامى الاندلسى المعروف بابى نصر، وفى عام ٣١٤هـ/٩٢٧م صلب على باب السدة سليمان بن عمر بن حفصون، وفى عام ٣١٦هـ/٩٢٨م علقت جثة عمر بن حفصون على باب السدة، وفى عام ٣٦٨هـ/٩٧٩م صلب عبد الملك بن المنذر بن سعيد البلوطى على باب=

الآخر سنة ٣٠٠ هـ (يناير ٩١٢م) وتم تطهير قلعة رباح واحوازها من الثورة[١].

ومن المرجح ان قلعة رباح قد عادت الى طاعة وولاء الحكومة المركزية فى قرطبة وتولاها عمال لبنى أمية، فقد اشارت المصادر التاريخية الى عدد من هؤلاء منهم: شبيب بن أحمد سنة ٣١٧هـ[٢] (٩٢٩م) وعبد الله بن عبد المالك فى ربيع الآخر سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م)[٣] ومحمد بن حمدون بن بسيل عام ٣٢١هـ (٩٣٣م)[٤] وعبد الملك بن عبد الله سنة ٣٢٢هـ (٩٣٥م)[٥]. واحمد بن محمد بن مبشر وعبد الله بن محمد بن مبشر مضمومة لها طليطلة سنة ٣٢٥هـ (٩٤٧م)[٦] وعبد الله بن درى

===السدة، وفى رجب عام ٣٩٩هـ/مارس ١٠٠٩م صلب عبد الرحمن شنجول بن المنصور محمد بن ابى عامر على باب السدة.
راجع: ابن حيان، المقتبس، نشر ملشور انطونيه، ص ٣٣ ، ١٣٧ ، المقتبس ج ٥ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٢٠٢ ، ٤٤٤ ، ابن عذارى، البيان المغرب ج٢ ، ص ١٤٧ ، ١٩٠ ، ١٩٣ .

Balbas : Bab Al sudda Y los zudas de la Espana
Oriental, Al Andalus; fasc 12, vol, Xvll, 1952, p. 165-175

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر ملشور انطونيه، ص ٣٧٥. ابن حيان، المقتبس نشر بدور شالميتا، ص ٥٣ ، ٥٤ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق٢ ، ص ٣٧٥ ، مؤلف مجهول: مدونة تاريخية من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، نشرها ليفى بروفنسال وغريسه غومث تحت عنوان:

Una Cronica anonime de abd Al Rahman 111, Al NASIR,
Por Levi Provencal, Emilio Garcia Gomez,
madrid, Granada, 1950. p 32-33

(٢) ابن حيان ، المقتبس، نشر شالميتا، ص ٢٥٤.
(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥.
(٤) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٣١.
(٥) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥.
(٦) ابن حيان ، المقتبس ، نشر شالميتا ، ص ٤١٧.

سنة ٣٢٦ هـ (٩٤٨م)[١] وهشام بن جهور سنة ٣٢٨هـ (٩٥٠م)[٢] وعيسى وسليمان ابنى محمد بن عيسى مضمومة لها طليطلة سنة ٣٢٩هـ (٩٥١م)[٣] والياس بن سليمان سنة ٣٣٠هـ (٩٥٢م)[٤].

لم تشر المصادر التاريخية الى قلعة رباح منذ أن انضوت تحت السيادة الاموية الا فى أخريات القرن الرابع الهجرى ابان الفتنة القرطبية عندما فر اليها سليمان بن الحكم،[٥] وكذلك عندما غادر البربر قرطبة فى أعقاب تحريض الخليفة

---

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٤٢٩.
(٢) ابن حيان ، نفسه ، ص ٤٦٢.
(٣) ابن حيان ، نفسه ، ص ٤٧١.
(٤) ابن حيان ، نفسه ، ص ٤٨٩.
(٥) سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، وكان قد فر الى قلعة رباح عقب وفاة الرشيد المروانى، فلما اضطر البربر الى الخروج عن قرطبة لسوء معاملة الخليفة المهدى اتجهوا الى قلعة رباح ووقع اختيارهم على سليمان بن الحكم كخليفة ولقبوه بالمستعين بالله، وعقب انتصار البربر على جنود الخليفة المهدى بالقرب من جبل قنتيش فى (١٣ ربيع الاول ٤٠٠هـ/١٥ نوفمبر ١٠٠٩م) ودخلوا قرطبه، أعلن سليمان نفسه خليفة للمرة الاولى فى ١٦ ربيع الاول ٤٠٠هـ/١٨ نوفمبر ١٠٠٩م، ولكن المهدى سرعان ما أسترد قرطبة للمرة الثانية عقب هزيمة سليمان فى عقبة البقر فى شوال سنة ٤٠٠ هـ(مايو ١٠١٠م)، الا أن سليمان وجنوده البربرية نجحوا فى دخول قرطبة فى ٢٦ شوال ٤٠٣ هـ (٩/مايو ١٠١٣م) وأعلن سليمان خلافته للمرة الثانية وتلقب بالظاهر بحول الله، الى أن دخل على بن حمود قرطبة فى ٢٢ من المحرم سنة ٤٠٧ هجرية (الاول من يوليو ١٠١٦م) وأمر بقتل سليمان المستعين.
راجع: ابن بسام(ابو الحسن على الشنترينى) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٧٩م القسم الاول المجلد الاول، ص ٢٤ ، ٢٥، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٧٨-٨٠ ، ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٠ - ٩٣ ، ٩٥-١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤-١١٣، سالم، تاريخ المسلمين، ص ٣٤٨-٣٥٥، عنان، دول الاسلام، ق٢ ، ص ٥٨٣-٥٩٩.
Arellano : Historia de Cordoba, ciudad real; 1915 - 1919 p. 303 - 344.

المهدى[1] على قتلهم، فغادروها وساروا الى قلعة رباح حيث التفوا حول سليمان بن الحكم وولوه على انفسهم وعقدوا له بها الخلافة وتسمى بالمستعين بالله.[2] وفى قلعة رباح ارسل الخليفة المهدى عباسا البرزالى[3] يحمل امانا للبربر ويطلب منهم العودة الى مدينة قرطبة فرفضوا قائلين: "ليس الى رجوعنا من سبيل لأنه أن أمننا لم تؤمننا

---

(١) هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الذى ثار على عبد الرحمن بن محمد بن ابى عامر الملقب بشنجول فى أول امارته وفى اثناء غيابه عن قرطبة فى غزوته الوحيدة ضد اسبانيا النصرانية وذلك فى جمادى الاولى سنة ٣٩٩هـ (فبراير ١٠٠٩م) معلنا نفسه خليفة للأندلس، على أنه لم يلبث قليلا حتى ثار عليه سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين، وقد انضم اليه البربر، والتقى المهدى والمستعين فى معركة قنتيش التى انتصر فيها سليمان المستعين وقواته البربرية – كما سبق الاشارة – وهرب المهدى الى مدينة طليطلة، حيث جمع له قائده واضح الفتى العامرى قوات جديدة، ثم التقى بسليمان المستعين مرة أخرى فى عقبة البقر – كما سبق الاشارة، وانتصرت قوات البربر المناصرة لسليمان المستعين مرة ثانية، الا أن سليمان–وكان يظن الهزيمة قد لحقت به– لاذ بالفرار وهكذا دخل المهدى قرطبة واعلنت خلافته للمرة الثانية، غير ان دولته الثانية لم تطل اذا ان قائده واضحا غدر به، فدبر مؤامرة لاغتياله فى الثامن من ذى الحجه سنة ٤٠٠ هـ(الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٠١٠م).
راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣ ، ص٤٩–١٠٠ ، ابن الخطيب (لسان الدين ابو عبد الله محمد): اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، القسم الثانى الخاص بالاندلس، تحقيق ليفى بروفنسال الرباط، ١٩٣٤م، ص ١٠٩–١١٦.

Levi Provencal, Histoire, Vol, 11, p. 298-315.

(٢) ابن عذارى. البيان المغرب، ج٣ ، ص ٨٢.

(٣) بنو برزال–أو البرازلة– ينتسبون الى قبيلة زناته البربرية وكانوا ينزلون بالمغرب فى منطقة الزاب الاسفل حول مدينة المسيلة. وقد أعلنوا خضوعهم لفاطميين ودخلوا فى طاعة على بن حمدون المعروف بالاندلسى، ثم عبروا الى الاندلس بعد أن اشتدت وطأة صنهاجة على المغرب الاوسط، ورحب بهم الخليفة المستنصر وأحسن استقبالهم، وعقب وفاة الحكم المستنصر وقفوا موقف التأييد من المنصور محمد بن ابى عامر فأستعملهم المنصور فى الولايات النبيهة ===

رعيته وأن أمنتنا رعيته لم يؤمننا جنده"[1] وفى عهد الخليفة القاسم بن حمود الادريسى[2] اقطع زهيرا الفتى العامرى قلعة رباح[3].

===والاعمال الجليلة فولى احدهم حاكما على قرمونة واعمالها وعقب سقوط الدولة العامرية تحول البرازلة بولائهم الى الخليفة المهدى ثم ساندوا ايضا الخليفة سليمان المستعين - شأنهم فى ذلك شأن البربر فى الاندلس- وظل بنوبرزال يحكمون قرمونة الى ان سقطت دولتهم سنة ٤٥٩ هـ(١٠٦٦-١٠٦٧م).
راجع: حمدى عبد المنعم محمد، دولة بنى برزال فى قرمونة، الطبعة الاولى، الاسكندرية، ١٩٩٠م.

(١) ابن عذارى البيان المغرب، ج٣ ، ص٨٤.

(٢) هو القاسم بن حمود بن ميمون بن حمود الادريسى الحسنى ولد فى سنة ٣٤٨هـ(٩٦٠م) وكان هو وأخوه على من جملة قواد سليمان بن الحكم المستعين حينما ولى الخلافه للمرة الاولى فى سنة ٤٠٠هـ(١١٠٩م) اذ كانا من امراء المغاربة الذين شايعوه، ثم قدم سليمان على بن حمود على سبته وولى القاسم على طنجة وأصيلا، على أنه يبدو انه ظل بقرطبة، ثم انتقل منها الى اشبيلية بعد أن جاز أخوه على من سبته الى قرطبة، وقتل سليمان المستعين واستأثر بالخلافة، فلما قتل على بن حمود فى أول ذى القعدة سنة ٤٠٨هـ(٢١مارس سنة ١٠١٨م) توجه الى قرطبة من اشبيلية وبويع فيها بالخلافة ثم ضعف أمره وثار عليه أبناء أخيه يحيى بن على القائم بسبته وادريس بمالقه، وجاز يحيى البحر، فلما رأى القاسم عجزه عن مقاومته فر الى اشبيلية فى الثانى والعشرين من ربيع الثانى سنة ٤١٢هـ (١٥ أغسطس ١٠١٢م) وأعلن يحيى نفسه خليفة بقرطبة ثم ضعف أمر يحيى فأضطر للفرار واستدعى أهل قرطبة القاسم مرة ثانية، فعاد الى قرطبة وولى الخلافة للمرة الثانية حتى ثار عليه القرطبيون مرة أخرى فهرب الى اشبيلية فى الحادى والعشرين من جمادى الثانية سنة ٤١٣هـ (٩ سبتمبر سنة ١٠٢٣م) فمنعه أهلها من دخولها بتدبير من القاضى ابن عباد، فانصرف منها الى شريش وتوفى بها محبوسا عند ابن أخيه ادريس بن على سنة ٤٢٧هـ (١٠٣٦م).
راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣ ، ص١١٩-١٣٥ ، ابن الخطيب، اعمال الاعلام القسم الاندلسى، ص ١٣٠-١٣٥، النويرى، نهاية الارب، ج٢٢ ، ص ٢٣٣-٢٣٤.

Levi Provencal, Histoire, Vol 11, P. 323 - 333.

(٣) زهير الفتى العامرى ويكنى ابا القاسم من أهم الفتيان العامريين واشدهم بأسا، ==

قلعة رباح فى عصرى الطوائف والمرابطين:

خضعت قلعة رباح خلال عصر ملوك الطوائف لبنى ذى النون اصحاب طليطلة[1] ومن أبرز من تولاها

===وكان من اخص الفتيان العامريين الذين تفرقوا عقب الفتنة، ثم ولاه القاسم بن حمود ولاية جيان وقلعة رباح محاولا بذلك ان يعقد السلم مع الفتيان العامريين وان يأمن خصومتهم وكيدهم، ثم ولى حكم المرية بعد وفاة صاحبها الفتى خيران سنة ٤١٩هـ (١٠٢٨م)، وامتد سلطانه شرقا حتى شاطبة وشمالا حتى بياسة وقرطبة. وكان يرتبط بعلاقات المودة مع جيرانه الاقربين بنى حمود اصحاب مالقة وبنى زيرى اصحاب غرناطة، ولكن سرعان ماتحولت علاقته مع اصحاب غرناطة الى علاقات عدائية ونشبت بينهما معركة انتهت بهزيمة زهير ومقتله فى اواخر شهر شوال ٤٢٩هـ (١٠٣٨م).

راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣ ، ص١٦٨ - ١٧٢، ابن الخطيب اعمال الاعلام، ج٢، ص٢١٢ ، ٢١٣ ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج١، ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، عنان، دول الطوائف، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٩م.

Prieto y Vives - Antonio -, Los Reyes de Taifas,
estudio Historico Muslmanes Espanoles, en
Elsiglo v de La Hegria, Madrid, 1926, P. 61 - 62.

(١) ظلت أسرة بنى ذى النون فى خدمة الدولة الاموية الى أيام المنصور محمد بن ابى عامر عندما ظهر عبد الرحمن بن مطرف بن اسماعيل بن ذى النون ودخل فى خدمة الدولة العامرية وعقب سقوط الدولة العامرية واندلاع الفتنة القرطبية أعلن بنوذى النون دخولهم فى طاعة سليمان المستعين الذى منح اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن ذى النون ولاية اقليش ثم اضاف اليها كونكة ثم أخذ يفرض سلطانه على كورة شنتبرية، وفى نفس الوقت احتاج اهل طليطلة الى من يقوم بأمرهم فخاطبوا اسماعيل ابن ذى النون، فأقبل بجنده ودخل طليطلة واستبد بأمره واعلن انفصاله عن قرطبة والجماعة، وحكم طليطلة من سنة ٤٢٧ - ٤٣٥هـ (١٠٣٦ - ١٠٤٤م) ثم خلفه ابنه ابو الحسن يحيى بن اسماعيل وتلقب ==

حريز بن حكم بن عكاشة(١) وقد ظلت قلعة رباح خاضعة لبنى ذى النون الى أن

== بالمأمون وكان من أعظم ملوك الطوائف وأطولهم عهدا، اذ حكم ثلاثة وثلاثين عاما (٤٣٥ – ٤٦٧هـ / ١٠٣٦ – ١٠٧٥م) وخلف المأمون حفيده يحيى بن ذى النون الملقب بالقادر الذى ظل يحكم طليطلة وقلعة رباح الى أن سقطت طليطلة فى ايدى القشتاليين سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م).

راجع: ابن بسام، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الاول، المجلد الاول، ص ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ والقسم الرابع المجلد الاول ص ٩٩ – ١٠٤، ١١٤، ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣ ، ص٢٧٨، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٠٣، ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ق٢ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٤، ص ١٦١ ، ١٦٢، أشباخ (يوسف) تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ترجمة أ. محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٥٨م، ص٤٩ ، ٥٠ ، ٥١.

Vives : Los Reyes de taifas, p, 53, 54.

(١) حريز بن حكم بن عكاشة كان والده حكم بن عكاشة من أصحاب الوزير ابى الحسن ابراهيم بن يحيى المعروف بابن السقاء وزير ابى الوليد بن جهور زعيم قرطبة، فلما قتل ابن السقاء قبض على حكم بن عكاشة وزج به السجن ولكنه فر من سجنه ولحق بالمأمون بن ذى النون صاحب طليطلة فولاه بعض الحصون القريبة من قرطبة، وكان المأمون يتحين الفرصة للاستيلاء على قرطبة، فوضع له حكم بن عكاشة خطة انتهت بنجاحه فى دخول قرطبة وقتل أميرها يومئذ عبادا الملقب بسراج الدولة بن المعتمد محمد بن عباد، ودعا الناس الى بيعة المأمون بن ذى النون وبعث اليه برأس سراج الدولة، وكان المأمون يومئذ فى بلنسية وذلك سنة ٤٦٧هـ (١٠٧٥م)، فقدم الى قرطبة ودخلها فى موكب ضخم، ولكنه توفى بعد قليل وتولى حكم بن عكاشة من بعده حكم قرطبة نائبا عن يحيى القادر بن ذى النون حفيد المأمون، ولكن وفاة المأمون شجعت المعتمد بن عباد على الزحف الى قرطبة ودخلها بعد أن فر عنها حكم بن عكاشة، ولكن المعتمد بن عباد بعث فى أثر ابن عكاشة سرية من الفرسان طاردته حتى ظفرت به وقتلته وجىء به فصلب مع كلب، بينما فر ولده حريز بن حكم الى طليطلة، فولاه القادر بن ذى النون حاكما على قلعة رباح وظل عليها حتى سقوطها فى ايدى القشتاليين، وقد قتل حريز بن حكم سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م).

راجع: ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢ ، ص ١٧٦ – ١٧٩ ، عنان دول الطوائف، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

سقطت طليطلة فى ايدى الفونسو السادس ملك قشتالة[١] الذى لم يقنع بالاستيلاء على طليطلة ولكنه استولى ايضا على جميع الاراضى الواقعة على ضفتى نهر التاجة وعلى القلاع المجاورة ومنها قلعة رباح[٢].

---

(١) الفونسو السادس ابن فرنندو الاول fernando 1 الابن الاكبر لسانشو العظيم Sancho El Mayor وكان فرناندو الاول قد قسم مملكته قبيل وفاته سنة ١٠٦٥م بين اولاده الثلاثة فخص ولده الكبير سانشو الثانى(شانجة) بمملكة قشتالة، وخص ولده الثانى الفونسو السادس (الفنش) بمملكة ليون، وخص أصغرهم غرسية بجليقية. أما ابنتاه دونيا اوراكا Urraca ودونيا البيرة Elvira فقد منحهما حق الاشراف على الاديرة فى سائر مملكته، كما منح الاولى حصن سمورة Zamora والثانية حصن تورو Toro وقد أدى تفتيت المملكة الاسبانية الى قيام حرب أهلية بين هؤلاء الاخوة، ولقد استطاع الاخ الاكبر سانشو (شانجة) فى بادىء الامر ان ينتصر على أخويه ويستولى على بلادهما ليون وجليقية سنة ١٠٧١م، بينما فر الفونسو السادس الى طليطلة حيث أكرمه ملكها المأمون بن ذى النون، وكذلك فر غرسية الى اشبيلية، ولكن سانشو تعرض للقتل سنة ١٠٧٢م واستدعى الفونسو السادس من طليطلة ونصب ملكا على قشتالة وليون وجليقية فى نفس السنة (١٠٧٢م) ولا سيما بعد القبض على الاخ الثالث غرسية وزج فى احدى القلاع سجينا حتى مات سنة ١٠٩٠م.
راجع: عنان، دول الطوائف، ص٣٧٥ - ٣٨٠ .

Lafuente : Historia general de Espana
Madrid 1861 , Vol , 11, P. 382-383: 385-389-485-488.
Pidal : La' Espana del cid Madrid, 1947
P. 122-123-135-145-149-176-177

(٢) عن أحداث سقوط طليطلة فى ايدى النصارى.
راجع: ابن بسام الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع، المجلد الاول، ص١٢٧، ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج٣ ، ص١٣٨ ، ١٣٩، المقرى، نفح الطيب، ج٢ ، ص٨٤ ، ٨٥ سالم، المغرب الاسلامى، الطبعة الاولى الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ٧١٨ ، ٧١٩ ، عنان، دول الطوائف ١١٠ - ١١٥

Mirianda. Historia general de Espana, Madrid
1955 , p. 16 - 18 ; Dozy , Histoire.
Vol , 111 p. 121 - 122.

جاء سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة نذيرا بما يترصد الإسلام فى الأندلس من أخطار، وارتج الأندلس كله لهذه الحادثة رجة عنيفة، وشعر الاندلسيون أن أمر الاندلس الى ضياع، وقد كان من الضرورى فى تلك الظروف العصيبة أن تتحد القوى الاسلامية فى الاندلس لمواجهة هذا الخطر النصرانى، فكان من الطبيعى الاستعانة بأقرب وأكبر قوة اسلامية مجاهدة وهى القوة المرابطية الفتية التى تمكنت من الظهور حديثا فى المغرب الأقصى فلبى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين نداء الجهاد، وعبر على رأس جيوشه المرابطية المجاهدة الى الاندلس سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) وأحرز انتصاره العظيم على جيوش النصارى بقيادة الفونسو السادس ملك قشتالة فى معركة الزلاقة الشهيرة فى الثانى عشر من شهر رجب سنة ٤٧٩هـ (الثالث والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٠٨٦م)(١).

ولقد كان لانتصار الزلاقة عدة نتائج كان من أبرزها أنه أسقط من قدر ملوك

---

(١) عن قيام دولة المرابطين فى بلاد المغرب واستصراخ ملوك الطوائف فى الاندلس بهم، والدور الاسلامى الذى قام به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وعبوره الى الاندلس وانتصاره الرائع فى معركة الزلاقه.
راجع: ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج٨ ، ص ١٤١ ، ١٤٢ مؤلف مجهول الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية، عنى بنشره السيد البشير الفورتى، تونس: ١٣٢٩ ، ص٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢ ، ص٩٩ ، ١٠٠، المراكشى (عبد الواحد بن على): المعجب فى تلخيص اخبار المغرب، نشر الاستاذان محمد سعيد العريان، ومحمد العربى العلمى، القاهرة ١٩٤٩م، ص ١٣١ ، ١٣٢، ابن ابى زرع (ابو الحسن على بن عبد الله الفاس): الانيس المطرب بروض القرطاس، طبعة فاس، ١٣٠٥هـ ص١٠٠ ، ١٠١ ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق٢، ص ١٨٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، الاحاطة فى اخبار غرناطة، ج٢ ، ص١١٠ ، ١١١
Dozy , Histoire, Vol, 111, p. 124, 125, 127, 129.
Miranda: La invasion de lose Almoravides y la Batalla de Zalaca, Hesperis, 1953, Tome, XI . Paris, p. 26 - 28.

الطوائف فى نظر رعيتهم، ومهد السبيل الى اسقاط دويلات الطوائف وسيطرة المرابطين على الاندلس. ففى عام ٤٨٤هـ (١٠٩٠) سير امير المسلمين المرابطى يوسف بن تاشفين اربعة جيوش الى الاندلس للقضاء على ملوك الطوائف منفردين منهم القائد بطى بن إسماعيل الذى إفتتح مدينة قرطبة يوم الاربعاء الثالث من شهر صفر سنة ٤٨٤هـ (السادس والعشرين من شهر مارس سنة ١٠٩١م) ثم بعث بطى قائدا على رأس حملة من الف فارس الى قلعة رباح، فحاصرها وإستولى عليها(١).

أصبحت قلعة رباح منذ أن افتتحها المرابطون عام ٤٨٤هـ (١٠٩١م) محورا للصراع بين المسلمين والنصارى، ففى عام ٥٢٢هـ (١١٢٨م) قام القشتاليون بغزوة واسعة النطاق فى بلاد الاندلس وتوغلوا حتى وصلوا على مقربة من قلعة رباح بهدف الإستيلاء عليها، فتصدى لهم تاشفين بن على ابن يوسف بن تاشفين(٢) وتمكن من ردهم على اعقابهم. وفى شهر ربيع الأول عام ٥٢٦هـ (يناير ١١٣٢م) بلغ تاشفين بن على أن القشتاليين قد خرجوا من مدينة طليطلة فى حملة عسكرية صوب مدينة قرطبة فاستنفر تاشفين جيوشه وبادر بالسير نحو مدينة قرطبة، ثم نهض للقاء القشتاليين فى

---

(١) ابن ابى زرع ، روض القرطاس، ١٥٤ ، ١٥٥ ، عنان، دول الطوائف، ص ٣٤٨، ٣٤٩، اشباخ، تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ص٩٥. كان امير المسلمين يوسف بن تاشفين وقيل ولده على بن يوسف يصف الاندلس بقوله انها تشبة عقابا مخالبه طليطلة وصدره قلعة رباح، ورأسة جيان ومنقاره غرناطة وجناحه الايمن باسط الى المغرب وجناحه الايسر باسط الى الشرق. راجع: الحميرى، الروض المعطار، ص ٤٦٩، المقرى، نفح الطيب ج١ ص ١٩١،١٩٢.

(٢) تاشفين بن على بن يوسف، تولى شؤون الاندلس نيابة عن ابيه امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وكانت للامير تاشفين بن على فى مدافعة النصارى فى الاندلس صولات وجولات وفق فيها كل التوفيق واحرز انتصارات رفعت مكانته فى نظر اهل الاندلس، وفى عام ٥٣٢هـ (١١٣٨م) صدرت اليه الاوامر بالعوده الى ==

قواته الخفيفة، وكان القشتاليون قد أكتسحوا حصن شنت اشتيبين Sanesteban (١) الواقع بالقرب من مدينة جيان(٢) واستولوا عليه، كما اجتازوا

= المغرب، ثم صدر مرسوم سنة ٥٣٣هـ (١١٣٩م) بتوليه ولاية عهد المرابطين، ثم تولى امارة المسلمين سنة ٥٣٧هـ (١١٤٣م) عقب وفاة والده على بن يوسف حيث تحمل عبء الحروب ضد الموحدين وعلى الرغم من ضروب الشجاعة والاقدام التى اتصف بها فى معاركه التى خاضها ضد الموحدين، إلا انه خر صريعا فى السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٣٩هـ (الثانى والعشرين من فبراير سنة ١١٤٥م).
راجع: البيذق (ابو بكر بن على الصنهاجى): اخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، نشر ليفى بروفنسال، باريس ١٩٢٨،ص٢٩٨ ، ٢٩٩ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١٠٠ ، ابن عذارى، البيان المغرب، الجزء الرابع الخاص بعصر المرابطين، ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ابن الخطيب، الاحاطة فى أخبار غرناطة، ج١ ، ص٩٧ -١٠٠.

(١) ابن الخطيب، الاحاطة فى أخبار غرناطة، ج١، ص٤٥٠ ، ٤٥١، عنان عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٣٣.

(٢) جيان(Jean) مدينة اندلسية قديمة من بنيان الاول وهى تقع الى شرق قرطبة وتبعد عنها بنحو مائة كيلومترا، والى شمال غرناطة وتبعد عنها بمثل هذه المسافة. يصفها الادريسى بقوله:" ومدينة جيان كثيرة الخصب رخيصة الاسعار كثيرة اللحوم والعسل ولها زائد على ثلاثة الاف قرية كلها يربى فيها دود الحرير وهى مدينة كثيرة العيون الجارية تحت سورها ولها قصبة من امنع القصاب وأحصنها" ويصف الحميرى مسجدها بقوله." وجامع جيان مشرف يصعد اليه على درج من جميع نواحيه، وهو من خمس بلاطات على اعمدة رخام وله صحن كبير حوله سقائف، وهو من بناء الامام عبد الرحمن بن الحكم على يد مسره عامل جيان".
راجع: الادريسى، صفة المغرب، ص٢٠٢، ابن غالب فرحة الانفس، ص٢٨٤، الحميرى، الروض المعطار ص١٨٣ وانظر ايضا: مؤلف مجهول ذكر بلاد الاندلس، ص٤٦، محمد الفاسى، الاعلام الجغرافية الاندلسية مجلة البينة، السنة الاولى، العدد الثالث، الرباط، ١٣٨٢هـ (يوليو١٩٦٢م).

الوادى الاحمر(١)، فبادر تاسفين بن على للقائهم وملاحقتهم واشتبك معهم فى قتال عنيف انتهى بهزيمة القشتاليين، وأتى القتل عليهم، واستولى المسلمون على أمتهم وأسلحتهم، وسار تاشفين بن على بالاسرى والغنائم الى قلعة رباح القريبة من ميدان المعركة، فأصلح أحوالها وحصن أسوارها وترك الاسرى لدى أهلها ليفتدوا بهم من ارادوا من اسراهم(٢). وفى عام ٥٣٦هـ (١١٤٢م) استولى المرابطين على قلعة مورة الحصينة فقام القشتاليون فى العام التالى (٥٣٧هـ/ ١١٤٣م) بقيادة مونيو الفونسيز حاكم قلعة مورة السابق بغزو قرطبة كرد فعل لتفريطه فى الدفاع عن قلعة مورة، فانتسف المروج الخصبة الواقعة على ضفاف نهر الوادى الكبير فى نواحى قرطبة، وتمكن من ايقاع الهزيمة بقوة من المرابطين يقودها واليا قرطبة واشبيلية لذين استشهدا فى ساحة المعركة، واستشهد معهما عدة آلاف من المسلمين(٣). وفى العام التالى (٥٣٨هـ/١١٤٤م) قامت حملة قشتالية جديدة بقيادة كل من مارتن فارناندیث ومونيو الفونسير لتحول دون قيام المسلمين بتحصين قلعة مورة، فخرج والى قلعة رباح فى قواته – وتسميه المصادر النصرانية فرج – واشتبك مع القشتاليين فى معركة هزم فيها القشتاليون وقر مارتن فرناندیث جريحا بينما سقط مونيو الفونسيز

---

(١) الوادى الاحمرهو المعروف اليوم باسمCuadalimar نهير من نهيرات الوادى الكبير ينبع من جبال شقورة، وهذا النهر يتكون من نهيرات صغيرة arroyos تمتلىء بالماء بعد المطر وتصبح مخاضات.

Diccionario Geogra Fico Espanol, X, 420 - 421.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤ ، ص٨٥ ، ٨٦ ، ابن الخطيب، الاحاطة فى أخبار غرناطة، ج١ ، ص٤٥١، عنان المرابطين والموحدين ص ١٣٤ ، ١٣٥.

(٣) ابن القطان (ابو الحسن على بن محمد الكتامى): نظم الجمان فى اخبار الزمان، نشر وتحقيق د. محمود مكى: الرباط ١٩٧٤م، ص ٢٤٤ عنان، المرجع السابق، ٥٠٧، اسباخ، تاريخ الاندلس، ص ١٨٣ ، ١٨٤.

صريعا وفصل رأسه وذراعه اليمنى ورجله اليمنى عن جسده، وارسلت الى قرطبة واشبيلية لكى تعرض على زوجى الواليين القتيلين عزاء لهما، ثم حملت بعد ذلك الى أمير المسلمين تاشفين بن على بن يوسف بمراكش، ثم ارسلت بقية جثة مونيو الفونسيز الى القشتاليين مقابل ارسالهم لرأس الواليين المسلمين(١).

ظل الصراع بين المرابطين والقشتاليين محتدما حول قلعة رباح الى ان تمكن الفونسو السابع(٢) ملك قشتالة من الاستيلاء عليها فى أواخر سنة ٥٤١هـ (١١٤٧م)،

---

(١) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص١٨٤ ، ١٨٥، عنان عصر المرابطين والموحدين ص ٥٠٧.

Lafonte: historia general de Espana, p. 291 - 292.

(٢) الفونسو السابع هو الفونسو (اذفونش) بن رمند Alfonso raimundez وأمه هى أراكه Urraca أبنة الفونسو السادس ملك قشتالة. وكانت اراكه قد تزوجت من كوند (كندسبينا) Condespina المسمى Gomes Gonzales وأنجبت أذفونس بن رمند Alfonso, Raimundes ثم مات هذا الكوند. وبعد موت الفونسو السادس ١١٠٩م سعى النبلاء حتى زوجوا أراكه هذه من الفونسو الأول ملك أراغون المعروف بالمحارب حتى تتحد أراغون وقشتالة، وقد تم الزواج فى سبتمر ١١٠٩م، وأصبح الفونسو الأول بالفعل ملك أراغون وقشتالة فأضاع هذا الزواج حق الفونسو ريموندس ابن أراكه وولى عهدها الشرعى ووريث الفونسو السادس الشرعى فقام أنصاره يطالبون بحقه وتم الانفصال بين الزوجين سنة ١١١٤م، وتم الاتفاق على أن يكون الفونسو المحارب ملكا على أرغون وقشتالة وتكون أراكه ملكة على ليون وجليقية وذلك بعد حروب طويلة، فلما ماتت أراكه خلفها أبنها الفونسو ريموندس بأسم الفونسو السابع، وقد سماه أهل الأندلس بالسليطين لأنه ولى عرش قشتالة صغير السن.

راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، الجزء الخاص بعصر الموحدين ص ٦٥ ابن الخطيب اعمال الأعلام، ق٢ ، ص ٣٣١، اشباخ، تاريخ الأندلس ص ٢٣١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ :

Dozy, Recherches sur L'histoire etlitterature de L'espagne pendant le Moyen age, Leiden 3 eme ed. ,p. 115-116

Aguado Bleye, Manual de la Historia de Espana, P. 617-619.

Miranda : Historia Politica del imperio Almohade, Tetuan 1957 p. 179, 183, 235.

فأحدث ثغرة خطيرة فى خطوط الدفاع الاندلسية، يخرج منها لمهاجمة المسلمين فى قلب الاندلس(١).

قلعة رباح فى عصر الموحدين:

سقطت دولة المرابطين على ايدى الموحدين سنة ٥٤١هـ (١١٤٧م)، وفرض الموحدون سيادتهم على الاندلس وورثوا عن المرابطين عبء الجهاد ضد القوى النصرانية فى الاندلس، وقد تجدد الصراع الاسلامى النصرانى حول قلعة رباح، اذ كانت القوات الموحدية تزحف على هذه القلعة من آن لآخر وترهقها بهجماتها العنيفة، وكان الفونسو السابع ملك قشتالة قد عهد الى فرسان الداوية(٢) بالدفاع عنه، ولكنهم عندما ايقنوا بعجزهم عن الاحتفاظ بها ازاء تفوق القوات الموحدية، غادروها وردوها الى الفونسو السابع ملك قشتالة، وكان يوجد وقتئذ فى مدينة طليطلة رجل ورع هو ريموند رئيس ديرفيترو ومعه راهب من أسرة نبيلة يدعى ديجو بلاسكيث وكان

(١) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص٢٢٣، عنان، عصر المرابطين، ص ٣٧١ .

(٢) فرسان الداوية أو فرسان المعبد Templares تعتبر من أشهر جماعات الفرسان الدينية التى قامت فى العصور الوسطى فى بداية الحروب الصليبية. وقد أنشأت جماعة فرسان الداوية سنة ١١١٩م فى بيت المقدس عقب سقوطها فى يد الصليبيين وذلك لحماية الحاج الى قبر المسيح عليه السلام، وأفراد ملك بيت المقدس جناحا فى قصره ثم سلم اليهم المعبد المجاور له، ومنه استقوا اسمهم "فرسان المعبد" ونمت هذه الجماعة بسرعة واشتد ساعدها بمن انضم اليها من النصارى، ولعبت دورا هاما فى حوادث الحروب الصليبية سواء فى المشرق او فى الاندلس.
راجع: د.ابراهيم خميس سلامة "الداوية ودورهم فى الحروب الصليبية" رسالة ماجستير، نوقشت بكلية اداب اسكندرية ١٩٨٠م.

فارسا ظهر فى ميدان الحرب وربى فى البلاط، فلما رأى هذان الرجلان جزع الملك الفونسو السابع لما يتوقعه من سقوط قلعة رباح فى يد الموحدين، اعتزما ان يتوليا الدفاع عنها، وطلبا من الملك أن يعهد بها اليهما، فأجابهما الملك لما كان يعلمه من ورع الراهب ريموند ورفيع مكانته لدى الناس، وأيد يوحنا مطران طليطلة مشروع الرجلين والقى عظات دينية وعد فيها بالغفران لكل من يتقدم للدفاع عن قلعة رباح، ولم يمضى سوى قليل حتى استطاع الراهب ريموند أن يجمع حوله فى قلعة رباح عشرين الف مقاتل، وامده كثيرون ممن لم يشتركوا فى الدفاع عن قلعة رباح باشخاصهم بالخيل والدواب والسلاح والمؤن والمال، حتى فاضت القلعة بكل ما هو ضرورى للدفاع عنها، ولذا وجد الموحدون انه ليس من الحكمة أن يقدموا على مهاجمة قلعة رباح بعد تلك الاجراءات الى اتخذت للدفاع عنها(١).

رأى الراهب ريموند ان يكون من هؤلاء المقاتلين الذين دافعوا عن قلعة رباح وكرسوا حياتهم للدفاع عن النصرانية ضد الاسلام جمعية اطلق عليها "جماعة فرسان قلعة رباح" وتألفت نواتها الاولى من رهبان ديرفيتور والذين بادروا بالرغم من سنهم وضعفهم الى اللحاق برئيسهم ريموند بقلعة رباح وهم يحملون معهم كل ما فى الدير من متاع ومؤن وافره وطبقت على هؤلاء الفرسان النظم الحربية وانتخب الراهب ريمـوند كأول استاذ للجماعة وقد صادق البابا اسكندر الثالث(٢) على قيامها وتوالت

---

(١) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، عنان، عصر المرابطين والموحدين ص ٥١٩.

(٢) توفى البابا ادريان الرابع فى عام ١١٥٩ فخلفه الكاردينال رولاند الذى لقب باسم اسكندر الثالث والذى ظل فى منصب البابوية قرابة اثنين وعشرين عاما (١١٥٩ – ١١٨١م) وحرص طولها على التمسك بمصالح البابوية وحقوقها، مما جعل النزاع بين البابوية والامبراطورية يتخذ جميع مظاهر العنف. وقد كان البابا ==

عليها الهبات الضخمة من الملوك والامراء والافراد من انحاء الغرب الاوربى(١).

ظلت قلعة رباح محورا للصراع بين الموحدين والقشتاليين ففى شهر شعبان سنة ٥٦٨هـ (مارس ١١٩٣م) قام حاكم آبلة الكونت خمينو (المعروف بالاحدب)(٢) بعدة غارات مخربة ضد اراضى المسلمين حتى وصل الى احواز مدينة قرطبة، فأمر الخليفة الموحدى ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ابن على (٥٥٨-٥٨٠ هـ/١١٦٣-١١٨٤م) جيوش الموحدين بمطاردة الجيوش القشتالية التى كانت قد وصلت الى مكان يسمى فحص كركوى(٣) فى طريقهم الى قلعة رباح، فأحاطت بهم الجيوش الموحدين وألحق بهم هزيمة كبيرة وقتلوا الكونت خمينو واحتزوا رأسه وقتلوا جميع من كان معه ولم ينج الا نحو مائتى فارس.(٤)

= اسكندر الثالث وراء تحويل الصراع بين المسلمين والنصارى الى حروب صليبية تعتبر امتدادا للحروب الصليبية فى المشرق الاسلامى.
راجع: عاشور (د.سعيد عبد الفتاح): اوربا العصور الوسطى الجزء الاول، الطبعة السابعة، القاهرة ١٩٧٨م ، ص٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٥٣٧.

(١) اشباخ،تاريخ الاندلس،ص٢٦٨،عنان،عصر المرابطين والموحدين ص٥١٩،٥٢٠.
Montero : Laorden de calatrava 1959 p. 8, 15, 16-18.

(٢) الكونت خمينو ويعرف احيانا بالقومس الاحدب واحيانا بأبى برذعه واحيان شان منوش Sancho Jimeno ولقب بالاحدب اما انه كان كذلك أو من قبيل النبز بالالقاب، ولقب بأبى برذعه لأن له – على ما قيل برذعه من الحرير منسوجه بالذهب مكلله بأصناف الجوهر.
– ابن صاحب الصلاه، المن بالامامة، ص ٢٩٨، ابن ابى زرع، روض القرطاس ص ١٨٧، ابن خلدون، العبر، ج٦ ، ص ٥٠٠ – ٥٠١.

(٣) يقع حصن كركوى فى جنوب طليطلة وهو الذى يسمى الآن بـ Caracuel

(٤) ابن صاحب الصلاه، المن بالامامة، ص ٥١٨-٥٢٢، ابن عذارى، البيان المغرب،ج٥ ،ص١٢٤-١٢٦،عنان،عصر المرابطين والموحدين،ص ٨٧– ٨٨.
Miranda, Las Grandas Batallas de la Reconquista, Madrid 1956 P. 160 .

فى اوائل عام ٥٩١ هـ (١١٩٥م) خرج الخليفة ابو يوسف يعقوب المنصور(٥٨٠ - ٥٩٥ هـ/١١٨٤-١١٩٩م) للجهاد ضد القوى النصرانية، فعبر مضيق جبل طارق ووصل الى مدينة اشبيلية ومنها الى مدينة قرطبة فوصلها يوم الجمعة التاسع عشر من شهر رجب سنة ٥٩١ هـ (الثلاثين من شهر يونيو سنة ١١٩٥م) ثم خرج من قرطبة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رجب (الرابع من شهر يوليو ١١٩٥م) متجها صوب قلعة رباح فأرسل فرقة من الجند لاستطلاع أحوال قلعة رباح، فخرج إليهم بعض فرسانها فأوقع الموحدون بهم هزيمة مريرة وتركوها على حد قول ابن عذارى ولائم للنسور والعقبان(١).

كان الفونسو الثامن(٢) ملك قشتالة قد علم بانباء عبور جيوش الموحدين الـــى

(١) راجع البيان المغرب، الجزء الخاص بعصر الموحدين، ص ٢١٨ ،٢١٩.

(٢) توفى القيصر الفونسو ريموندس فى اغسطس ١١٥٧م فقسمت مملكته بين ولديه، أختص ولده سانشو الثالث بعرش قشتالة واختص ولده الصغير فرناندو بمملكة ليون وجليقية واشتوريش مع حق السيادة على مملكة البرتغال. مما ادى الى نشوب الحرب بين الاخوين ملكى قشتالة وليون وتمكن سانشو من ان يرغم اخيه على الاعتراف بسيادته وان يؤدى له الجزيه. وكان سانشو الثالث يطمح فى تكوين حلف من الممالك الاسبانية لمحاربة الموحدين، ولكن هذه الاحلام تحطمت بوفاة سانشو فى اواخر اغسطس ١١٥٨م، ولم يترك لوراثه عرشة سوى طفل فى الثالثة من عمره هو الفونسو الملقب بالنبيل وترك فى وصيته ان تقوم اسرة كاسترو الشهيرة بالوصاية عليه ولكن فرناندو الثالث ملك ليون سار الى قشتالة فى جيش ضخم كى يحمى ابن اخيه، واحتل قشتالة وأعلن انه يتولى الحكم والوصاية على ابن اخيه، واعترف بطاعته معظم الشعب القشتالى وذلك سنة ١١٩٥م، مما ادى الى حدوث صراع دموى عنيف بين اسرتى كاسترو ولارا

الاندلس، فحشد حشودا ضخمة، وارسل الى جميع ملوك وامراء اوربا يطلب سرعة ارسال الامدادات اليه وظل فى مدينة طليطلة حتى وصلت الامدادات اليه فاخترق وادى آنه متجها صوب قلعة رباح ومنها الى حصن الارك(Alarcos) الذى كان قد ابتناه النصارى على مقربة من قلعة رباح ليكون خط الدفاع الاول عن قلعة رباح ومدينة طليطلة.(١)

استمر الخليفة يعقوب المنصور فى سيره مخترقا قلعة رباح دون أن يستولى عليها حتى وصل الى المعسكر النصرانى عند حسن الارك، حيث دارت يوم الاربعاء التاسع من شعبان سنة ٥٩١ هـ (التاسع عشر من شهر يوليو ١١٩٥م) معركة الارك الشهيرة التى احرز المسلمون فيها انتصارا عظيما على الجيوش النصرانية ويصف ابن عذارى ما حدث للنصارى يوم الارك وصفا رائعا بقوله:"وأجلت الحرب عن حصيلة من القتلى كالزرع المحصود والصخر المنضود كابين على الوجوه لغير سجود ومستقلين على الجنوب دون هجود وكما يحشرون يوم النشور اذا بعثر ما فى القبور".(٢) وكان من أهم نتائج معركة الارك استيلاء الموحدين على قلعة رباح، اذ

===فانضم فرناندو الى اسره كاسترو، ولكن الامر انتهى بانتصار اسرة لارا التى تمكنت من اقتحام طليطلة ودعت جميع القشتاليين الى الالتفاف حول الملك الشرعى (الفونسو الثامن النبيل) وذلك سنة ١١٦٦م.

راجع : Dozy, Rech., p. 115-116; Huici Miranda, Historia, Politico 1 , p. 240 , 255 , 363.

(١) يصف الحميرى الارك بقوله:"هو حصن منيع بمقربة من قلعة رباح أول حصون اذفونشى بالأندلس" ويسمى اليوم Santa Maria de Alarcos.

راجع: الروض المعطار، ص ٢٧ وهامش (٣) من نفس الصفحة.

(١) البيان المغرب، الجزء الخاص بالموحدين، ص٢١٩ ، ٢٢٠ وراجع ايضا ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٢٩ ، الحميرى، الروض المعطار، ص٢٧

هاجمها الموحدين وانتزعوها بعد قتال عنيف من ايدى فرسان قلعة رباح وقتل اثناء القتال استاذ الجماعة نونيودى فونتيس، وكان استرداد المسلمين لها بعد أن ظلت فى ايدى النصارى احدى وخمسون سنة وعشرة اشهر، وقد أمر الخليفة يعقوب المنصور بتطهير مسجدها الجامع الذى كان قد حول الى كنيسة، وادى شعائر الصلاة فيه، وقدم على قلعة رباح يوسف بن قادس(١).

معركة العقاب واستيلاء النصارى على قلعة رباح

توفى الخليفة يعقوب المنصور فى الثانى والعشرين من ربيع الاول عام ٥٩٥ هـ (الثانى والعشرين من شهر يناير عام ١١٩٩م) وتولى الخلافة الموحدية ولده محمد الملقب بابى عبد الله الناصر لدين الله (٥٩٥- ٦١٠ هـ/١١٩٩-١٢١٣م) فى نفس الوقت الذى أخذ الفونسو الثامن (النبيل) ملك قشتالة يتأهب لمحاربة المسلمين، فبدأ بتحصين قلعة مورة الواقعة على الحدود الاسلامية القشتالية تحصينا قويا سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩م) ثم سار فى جيش من القشتاليين وفرسان قلعة رباح(٢) الى اراضى

===اشباخ، تاريخ الأندلس، ص ٣٣٣ - ٣٣٧ ، عنان، عصر المرابطين والموحدين ص ٢٠٠ - ٢١٤.

Miranda : Las Grandas Batallas Ip. 137 - 169

(١) ابن ابى زرع روض القرطاس، ص ٢٢٩؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٢٧؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٣٣٦ ،٣٣٧ ، عنان، عصر المرابطين والموحدين ص ٢١٤؛

Miranda : Las Grandas Batallas, P. 171 - 172.

(٢) كان فرسان قلعة رباح قد احتشدوا فى قلعة شلبطرة الواقعة على مقربة من قلعة رباح، وكانوا قد لجأوا اليها منذ ان انتزع الخليفة يعقوب المنصور قلعة رباح من ايديهم عقب معركة الارك، وكانت قلعة شلبطرة المنيعة فضلا عن مضايقتها لقلعة رباح باستمرار يتخذها النصارى قاعدة لغزواتهم المخربة داخل اراضى ==

المسلمين، فانتسف الحقول ونهب القرى وقتل السكان وسبى منهم جموعا كبيرة ثم عاد الى طليطلة، فالتقى مع ملكى نافار وأراجون ووثق معهما عهود الصلح وحصل منهما على وعد بتأييده لمواجهة المسلمين، واعتزم محو وصمة هزيمة الارك باحراز نصر كبير على جيوش الموحدين فى الاندلس، ولذا غزا فى عام ٦٠٧ هـ (١٢١٠م) اراضى الاندلس ووصل الى احواز مدينة مرسية(١). ثم عاد الى طليطلة مثقلا بالغنائم.(٢)

أعلن الخليفة محمد الناصر لدين الله الجهاد، وحشد حشودا ضخمة ثم عبر على رأس هذه الحشود الى الاندلس فى الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ٦٠٧ هـ

===المسلمين، ومن ثم فقد آل الناصر على نفسه أن يفتتح غزاته بالاستيلاء على قلعة شلبطرة الحصينة.

راجع: ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٦.

(١) مرسية Murcia مدينة فى جنوب شرق الاندلس، تبعد عن البحر بنحو ٦٤ كم وميناؤها عليه تسمى قرطاجنة Cartagena واسم مرسية القديم هو تدمير نسبة الى تيودومير حاكم هذه المنطقة ايام الفتح العربى لاسبانيا وهو الذى عقد معاهدة مع عبد العزيز بن موسى بن نصير احتفظ فيها بشىء من الاستقلال بهذه المنطقة الشرقية. وفى عهد عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) تحولت هذه المنطقة الى كورة عادية قاعدتها اوريولة Orihuela وفى عام ٢١٦هـ (٨٣١م) اختطت مدينة مرسية أيام الامير عبد الرحمن الاوسط على يد جابر مالك بن لبيد عامل تدمير يومئذ ولم تلبث مرسية ان صارت قاعدة لكورة تدمير ثم سميث الكورة كلها باسمها. وبعد سقوط الخلافة الاموية بقرطبة استقل بحكم مرسية وكورتها المولیان العامريان الصقلبيان خيران وزهير ثم ضمت الكورة الى بلنسية ثم انفصلت عنها بعد ذلك على ايام المرابطين. وفى اواخر ايام الموحدين استقل بها محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل واصبحت تسمى باسم مملكة مرسية. واخيرا سقطت فى يد ملك اراجون خايمى الاول سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٦م).
العذارى، ترصيع الاخبار، ص ١٠؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج١ ص ٦٣ ، ج٢ ، ص ٣١٦؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ١٨١-١٨٣.

(٢) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ اشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٣٥٤ - ٣٥٦، عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥.

(اوائل مايو ١٢١١م)، فنزل على الساحل الجنوبى للأندلس ثم اتجه صوب مدينة اشبيلية حيث استراح قليلا، ثم خرج من اشبيلية فى اوائل عام ٦٠٨ هـ (يوليو ١٢١١م) الى حصن شلبطرة الجبلى الحصين، ولبث الجيش الموحدى أمام هذا الحصن ثمانية أسابيع وهو ممتنع عليه، حتى اضطرت الحامية النصرانية المدافعة عنه الى التسليم وذلك فى اوائل ربيع الاول سنة ٦٠٨ هـ (اغسطس سنة ١٢١١م).(١)

ارسل الفونسو الثامن (النبيل) الى البابا انوسنت الثالث(٢) وسائر ملوك وامراء اوربا يدعوهم للاشتراك فى الحرب الصليبية ضد المسلمين فقد دعا الفونسو الثامن الى عقد مؤتمر فى مدينة طليطلة شهده بعض ملوك وامراء اوربا للدعوة الى اعلان الحرب المقدسة ضد المسلمين، فاجتمعت فى مدينة طليطلة حشود ضخمة من جميع

---

(١) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٧، الحميرى، الروض المعطار، ص ٣٤٤، اشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٣٥٨،٣٥٧، عنان، عصر المرابطين والموحدين ص ٢٩١،٢٩٢.

(٢) تولى انوسنت الثالث الكرسى البابوى سنة ١١٩٨م، وقد امتاز بشخصية قوية مكنته من تحقيق كاما كانت تطمع فيه البابوية من سمو. وقد شبه انوسنت الثالث البابوية بالشمس والامبراطورية بالقمر الذى يستمد ضوءه من الشمس، ولذا نادى بسيادة البابوية على الامبراطورية وعلى ايامه استولى الصليبيون على القسطنطينية سنة ١٢٠٤م، كما وضع مشروع الحملة الصليبية الخامسة على مصر كما بلغ نفوذ البابوية الروحى والفكرى والدنيوى ذروته فى عهد انوسنت الثالث فقد استطاع ان يلعب دوره بمهاره فى السياسة العالمية لغرب اوربا وان يفرض كلمته على أعظم حكام الغرب - بل الشرق - المسحيين، كما كان صاحب الدور الكبير فى اثارة الحماسة الصليبية فى اسبانيا، وتشجيع جماعات عديدة من انحاء غرب اوربا لعبور جبال البرانس والمشاركة فى الحرب المقدسة ضد المسلمين.
راجع: سعيد عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج١ ، ص ٣٧٩، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٩٤، ٥٣٧، ٥٤٩.

انحاء اوربا، وليس أدل على الاهمية التى كان يعلقها الغرب يومئذ على هذه الحملة الصليبية ضد مسلمى الاندلس من اشتراك تلك الحشود الضخمة، وكون الالاف منهم كانوا يتقلدون الصليب بل ان البابا انوسنت الثالث امر بالصوم ثلاثة ايام والاكتفاء بالخبز والماء التماسا لانتصار الجيوش الصليبية، بل واقيمت الصلوات العامة، وعمد رجال الدين والرهبان والراهبات الى ارتداء السواد والسير حفاة، كما القى البابا انوسنت الثالث بنفسه موعظه صليبية طلب فيها الى النصارى أن يضرعوا الى الله التماسا لنصر النصارى(١).

سارت الجيوش الصليبية صوب اراضى المسلمين، فوصلت طلائعهم فى الحادى والعشرين من المحرم سنة ٦٠٩ هـ (الرابع والعشرين من يونيو سنة ١٢١٢م) الى حصن مجلون فاستولوا عليه بعد أن قتلوا جميع افراد الحاميه الاسلامية المدافعه عنه، ويبدو أن الجيوش الصليبية أخذت تعانى من نقص المؤن فضلا عن ارتفاع درجة الحرارة، ففكر الكثير منهم فى العودة الى بلادهم، ولكن وصول الفونسو الثامن (النبيل) ملك قشتالة الى قلعة مجلون فى اليوم التالى للاستيلاء عليها، فهدأ من روعهم بتوزيع المؤن الوفيرة عليهم واستطاع ان يقنعهم بالمسير صوب قلعة رباح.(٢)

لقيت القوات الصليبية فى عبور نهر وادى آنه الذى يقع عليه قلعة رباح صعابا فادحة، اذ كان المسلمون قد احاطوها من ثلاثة جوانب بسلسلة حصينة من الخوازيق الحديدية، كما كانت القلعة مجهزة بالابراج العالية والاسوار المنيعة، فتكبدت القوات الصليبية افدح الخسائر خلال هذا الهجوم الصليبى، وقبل ان يعاود الصليبيون الهجوم

---

(١) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص٣٦٠ ، ٣٦١.
(٢) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص٣٦١.

مرة اخرى عقدوا مجلس حرب للبحث فيما اذا كان من الافضل ان تقتصر الجيوش لصليبية على تطويق القلعة دون محاولة افتتاحها الا بعد خوض المعركة الحاسمة مع الجيوش الاسلامية، ولكن غلب الرأى بوجوب مهاجمة قلعة رباح، اذا كان من المعروف انها تحتوى اموالا طائلة وكميات كبيرة من المؤن والعتاد.(١)

كان ابو الحجاج يوسف بن قادس على رأس المدافعين عن قلعة رباح فى سبعين فارسا من انحاء المسلمين، فلما شددت القوات الصليبية حصارها لقلعة رباح، صمد يوسف بن قادس، وكان يرسل فى كل يوم كتابا الى امير المؤمنين محمد الناصر لدين الله يخبره بسوء احوال المدافعين عن القلعة ويستمده ليواصل صموده ضد الصليبيين، فكانت كتب ابن قادس اذا وصلت الى المعسكر الاسلامى منعها الوزير ابن جامع(٢)

---

(١) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص٢٣٧، اشباخ، المرجع السابق، ص٣٦١ ، ٣٦٢، عنان، عصر المرابطين، ص٢٩٦.

(٢) بنو جامع أسرة خدمت الموحدين، واصلهم القديم من مدينة طليطلة، واول ما نسمع به منهم ابراهيم بن جامع، فقد نشأ بضيعة تسمى روطة Rota بساحل مدينة شريش على المحيط الاطلسى ثم انتقل ابراهيم هذا الى بلاد المغرب فتعرف بمحمد بن تومرت (مهدى الموحدين) فكان من اصحابه، وظل فى خدمة محمد بن تومرت ثم عبد المؤمن بن على حتى كان يعيش فى قصر عبد المؤمن وفيه ولد له ابنه ادريس الذى استوزره ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن. وكان لادريس هذا أخ يسمى عبد الله بن ابراهيم كان يتولى مدينة سبتة وجهاتها وقيادة الاسطول وفى سنة ٥٧٣ هـ (١١٧٦م) غضب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على ادريس واولاده ونفاهم الى مدينة ماردة الى ان صفح الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٨٠هـ (١١٨٣م). وقد انجب عبد الله ابن ابراهيم عددا من الاولاد كان ابرزهم ابو سعيد عثمان الذى تولى الوزارة للخليفة الموحدى محمد الناصر ثم لابنه أبى يعقوب يوسف الذى تلقب بالمستنصر بالله الى ان عزل سنة ٦١٥ هـ (١٢٢٨م) وقتل سنة ٦٢١هـ (١٢٢٣م).

ولا يطلع عليها الخليفة محمد الناصر فلما يئس ابن قادس من شدة الحصار ونفذت المؤن والعتاد وخشى ان يقتحم الصليبيون القلعة ويستولون عليها عنوة، ارسل سرا وتحت جنح الظلام الى الفونسو الثامن ملك قشتالة يعرض عليه تسليم القلعة مقابل منح الامان للحامية الاسلامية والسماح لها بالانسحاب بسلاحها. وكان الفونسو الثامن يميل الى هذا الحل السلمى كى يستولى على قلعة رباح دون اراقه دماء، ولكن حلفاءه من الارجونيين والمحاربين الوافدين رفضوا هذا العرض السلمى، ولكنهم اضطروا الى قبول هذا العرض السلمى عندما ابدى المسلمون عزمهم على الصمود والمقاومة، وقد تم الاتفاق على انسحاب الحامية الاسلامية دون سلاح، فدخلها النصارى وسلمت الى جمعية فرسان قلعة رباح(١).

سار ابو الحجاج يوسف بن قادس بحامية قلعة رباح وبصحبته صهره الى الخليفة محمد الناصر لدين الله، وطلب يوسف بن قادس من صهره الرجوع قائلا: "ارجع فانى والله مقتولا لا محالة، ولا أعيش بعدها ابدا، لكنى بعت نفسى من الله تعالى بسلامة من كان فى الحصن من المسلمين" فأبى صهره الرجوع، فلما وصلا الى معسكر الخليفة محمد الناصر لدين الله، اقبل عليهما قواد الاندلس مرحبين ومهنئين ولكن الوزير ابو سعيد عثمان بن جامع أمر بسرعة القبض عليهما واغرى الخليفة محمد

===عن اسرة بنى جامع راجع: حمدى عبد المنعم محمد حسين، اسرة بنى جامع ودورها فى عصر الموحدين فى المغرب والاندلس، مجلة كلية الاداب جامعة الاسكندرية، العدد (٤١) سنة ١٩٩٢م.

(١) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص٢٣٧ ، المراكشى، المعجب، ص٢٨٥ ، ابن عذارى، البيان المغرب، الجزء الخاص بعصر الموحدين، ص ٢٣٥، الحميرى الروض المعطار، ص ٤١٦، اشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ عنان عصر المرابطين والموحدين، ص٢٩٦-٢٩٧؛

Miranda : Las grandas Batallas , P. 242 - 245.

الناصر بهما حتى أمر بقتلهما، فقتلا فى الحين دون سماع دفاعهما مما ادى الى انتشار السخط بين قواد الاندلس، فلما علم الوزير ابو سعيد عثمان بن جامع بذلك استدعى هؤلاء القواد وطلب منهم اعتزال الجيش الموحدى وقال لهم قول الله تعالى: "لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم" كما أن الخليفة محمد الناصر لدين عندما علم بسقوط قلعة رباح وهى امنع ثغور المسلمين فى مواجهة النصارى، شق عليه ذلك حتى امتنع عن الطعام والشراب مما ادى الى اصابته بالمرض.(١)

كما كان لسقوط قلعة رباح فى ايدى الصليبيين تأثيره البالغ على المعسكر النصرانى، وذلك ان المحاربين الوافدين غضبوا لخروج الحامية الاسلامية دون اراقه دماء، وحقدوا على الفونسو الثامن (النبيل) ملك قشتالة لأنه حرمهم من الغنائم ولاسيما أنه عندما دخل قلعة رباح وجد كميات كبيرة من المؤن فوزعها بالتساوى على جميع المحاربين الصليبيين وقد زعموا أن الفونسو الثامن استأثر لنفسه بجميع التحف والنفائس التى عثر عليها بقلعة رباح، فأعلنوا رغبتهم فى العودة الى بلادهم متعللين بارتفاع درجة الحرارة فى أسبانيا وبأنهم اوفوا بعهدهم فى قتال المسلمين بما خاضوه من معارك أمام اسوار ملجون وقلعة رباح وقد ايدهم فى ذلك اعظم احبارهم مطران بوردو، فتركوا المعسكر الصليبى عائدين الى بلادهم ولم يبق منهم سوى ارنولد آسقف اربونة، والكونت تيوبولد بلاسكون وهو اسبانى المولد، وكانا قد أتيا الى اسبانيا على رأس مائة وخمسين فارسا وغادر الباقون وهم زهاء خمسين ألف مقاتل غاضبين، وقد خشى النصارى عواقب اعتدائهم ونهبهم فأغلقوا فى وجههم جميع المدن الاسبانية.(٢)

---

(١) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص٢٣٧ ، ٢٣٨.

(٢) المراكشى، المعجب، ص٢٨٦، الحميرى، نفسه، ص ٤١٦، أشباخ، نفسه ص٣٦٣ ، ٣٦٤، عنان، نفسه، ص٢٩٧.

وعلى أثر سقوط قلعة رباح غادر الخليفة محمد الناصر على رأس جيشه مدينة جيان وسار الى الضفة اليمنى لنهر الوادى الكبير نحو مدينة بياسة بينما احتلت سريات من خيرة جنده ممرات جبال الشارات (سييرامورينا) ومنها ممر لوسا الوعر حيث نزلت الجيوش الموحدية وقد دارت معركة من أهم معارك الصراع بين المسلمين والصليبيين تسمى فى المصادر العربية باسم معركة العقاب(١) بينما تسمى فى المصادر النصرانية باسم معركة ناڤاس دى تولوسا Navas de tolose وذلك يوم الاثنين الخامس عشر من شهر صفر سنة ٦٠٩ هـ (السادس عشر من شهر يوليو ١٢١٢م) انتهت بهزيمة مريرة للمسلمين(٢). وقد اجمع المؤرخون على أن سقوط قلعة رباح فى ايدى النصارى كان من أهم أسباب نكبة العقاب لأن قواد الاندلس الذين غضبوا لما حدث ليوسف بن قادس وموقف الوزير ابى سعيد عثمان بن جامع وتوبيخه لهم قد تخاذلوا خوفا من أن يحدث لهم ما حدث لابن قادس(٣) كما كان لسقوط قلعة رباح

---

(١) العقاب قرية من قرى الاندلس تقع بين جيان وقلعة رباح وتعرف اليوم باسم لاس ناڤاس دى تولوسا، Las Navas de Tolosa وسمى هذا الموضع باسم حصن العقاب الذى اقامه الامويون فى نفس الموضع، وقيل سمى بهذا لوقوعه بين التلال والربى المانعه.
راجع: الحميرى، الروض المعطار، ص ٤١٦.

(٢) عن معركة العقاب راجع:
ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٨ - ٢٤٠، الحميرى، الروض المعطار، ص٤١٦، اشباخ، تاريخ الاندلس، ٣٦٥، ٣٦٦، عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص٢٩١ - ٣٢١، العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص١٧٣ - ١٧٧.
Miranda Historia politica. vol. 11, po 101 - 110 .
Las Grandas Batallas p. 265 - 278

(٣) أما اسباب هزيمة العقاب فمنها ما يلى:
١-تغير قلوب الموحدين وسخطهم على الوزراء لتأخر صرف رواتبهم وأعطياتهم، اذ كان المتبع منذ ايام الخليفة ابى يعقوب المنصور أن يمنح

أكبر الاثر فى سيطرة النصارى على اهم الثغور الاسلامية المدافعة عن الاندلس، ولم يكتب لقلعة رباح أن تعود مرة أخرى للسيادة الاسلامية.

=== العطار للجند كل اربعة اشهر دون تأخير، ولكن العطار اصبح يتأخر فى عهد الخليفة محمد الناصر، فنسب الجند ذلك الى الوزراء، فخرجوا للغزو وهم كارهون وقد ضعفت روحهم المعنوية.

راجع: المراكشى، المعجب، ص٣٢١ ، ٣٢٢، الحميرى، الروض المعطار ص١٧٤ ،١٧٥، عنان، عصر الموحدين، ص ٣١٨، العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس، ص ١٧٤ ، ١٧٥.

٢-اختلال نظام الامدادات نظرا لابتعاد الجيوش الموحدية عن قواعدها مسافات طويلة، فضلا عن اختلال نظام الجيوش الموحدية الكبيرة العدد، وعدم اتساق تنظيماتها وتنافر العناصر المكونة منها، وعدم توحيد قيادتها بايدى قادة يتسمون بالبراعة العسكرية.

راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣ ، ص٢٦٠ ، ٢٦١.

٣-حركة التطهير الشاملة التى اجراها الناصر قبيل معركة العقاب ضد الفساد وسوء الادارة واقصاء العمال الظلمة والمرتشين فى جميع انحاء دولته. وقد نكب فى هذه الحركة عدد غير قليل من كبار عمال الدولة وشيوخها على يد صاحب الاشغال ابو محمد ابن ابى على بن مثنى.

راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣ ، ص٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ : العبادى، دراسات، ص١٧٥.

٤-ارتفاع الروح المعنوية للجند النصرانى واتحاد كلمتهم وتلقيهم البركة والغفران البابوى على يد الأساقفة ورجال الدين، فقد حشدت قوى النصرانية كلها ضد اسبانيا المسلمة واتخذت الحرب الصليبية شكلها الحقيقى.

راجع: اشباخ تاريخ الاندلس، ص٣٦١ ، ٣٦٢.

٥-استبداد الناصر بالامر، وعدم استرشاده بآراء اشياخ الموحدين فى تسيير شئوون الدولة الكبرى، حتى انه رفض نصح الشيخ ابى محمد عبد الواحد حينما استشاره فى شئوون الاندلس، بألا يسير الى غزوته الكبرى التى انتهت بنكبته فى موقعة العقاب.

راجع: ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ١٥٧ ، السلاوى، الاستقصاء ج٢، ص١٩٧ ، ١٩٨، اشباخ، تاريخ الاندلس ص٣٥٠، العبادى، دراسات، ص١٧٤.

مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر العربية

(١) ابن الأبار (ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى)

ت ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م

-الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس

الطبعة الاولى، فى جزئين، القاهرة ١٩٦٣م.

ابن الأثير (أبو الحسن على بن أحمد بن محمد الجزرى)

ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٣م

-الكامل فى التاريخ، طبعة القاهرة ١٣٥٧هـ .

(٣) الادريسى (ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف)

ت حوالى ٥٤٨ هـ/ ١١٥٤م

-صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق، نشره وترجمه الى الفرنسية دوزى ودىغوية ليدن ١٨٦٦م.

(٤) ابن بسام (ابو الحسن على الشنترينى)

ت ٥٤٣ هـ/١١٤٧م

-الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د.إحسان عباس، بيروت ١٩٧٩م.

(٥) البيذق (ابو بكر بن الصنهاجى)

ت فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر ١٩٧٤م.

(٦) ابن حزم (ابو محمد على بن أحمد بن سعيد)

ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٤م

-جمهرة انساب العرب، وتحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م.

(٧) الحميرى (ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى)

ت بعد عام ٨٦٦ هـ (١٤٦١م)

الروض المعطار فى خبر الاقطار

تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨٤م.

(٨) ابن حيان (ابو مروان حيان بن خلف)

ت ٤٦٩ هـ (١٠٧٩م

-المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس

نشرة الاب ملشور انطوانية، باريس ١٩٣٧م

المقتبس فى أخبار بلد الاندلس

نشر وتحقيق د. عبد الرحمن الحجى، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٥.

-المقتبس من انباء أهل الاندلس.
نشر وتحقيق د. محمود على مكى، بيروت ١٩٧٣م
-المقتبس (الجزء الخامس)
نشر بدرو شالميتا وكورينطى ومحمود صبح، نشر المعهد الاسبانى العربى للثقافة بالاشتراك مع كلية الاداب بالرباط، مدريد ١٩٧٩م.

(٩) ابن الخطيب (لسان الدين عبد الله محمد)
ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م.
-اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام.
-الجزء الخاص بتاريخ اسبانيا، نشره ليفى بروفنسال باسم تاريخ اسبانيا الاسلامية، الرباط ١٩٣٤م.
-اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام.
-الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية، نشرة د.احمد مختار العبادى وابراهيم الكتانى، الدار البيضاء ١٩٦٤م.
-الاحاطة فى اخبار غرناطة.
نشر أ.محمد عبد الله عنان، فى اربعة اجزاء القاهرة ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ م.

(١٠) ابن خلدون (ابوزيد عبد الرحمن بن محمد)
ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م
العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٦٨م.

(١١) ابن ابى زرع (ابو الحسن على بن عبد الله الفاسى)

ت ٧٢٦ هـ /١٣٢٥ م.

الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نسخة حجرية، طبعة تونس ١٣٢٩ هـ

(١٢) ابن سعيد المغربى (ابو الحسن على بن موسى)

ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٢٥م

: المغرب فى حلى المغرب، تحقيق د.شوقى ضيف فى جزئين، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٥٣ – ١٩٥٥م.

(١٣) ابن صاحب الصلاة (عبد الملك)

كان حيا سنة ٥٩٤هـ (١١٩٨م)

–كتاب المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين.

السفر الثانى، تحقيق عبد الهادى التازى، بيروت ١٩٦٤م

(١٤) ابن عذارى المراكشى (ابو العباس احمد بن محمد)

كان حيا ٧١٢هـ/١٣١٢م.

–البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب.

–الجزء الاول والثانى، نشر كولان وليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ.

-الجزء الثالث، نشر ليفى بروفنسال، دار الثقافة بيروت، بدون تاريخ.

-الجزء الرابع الخاص بتاريخ المرابطين، نشر احسان عباس، بيروت ١٩٧٧م.

-الجزء الخامس، الخاص بعصر الموحدين وبداية عهد بنى مرين، نشر وتحقيق محمد ابراهيم الكتانى ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيبر، وعبد القادر زمامة، دار الثقافة الدار البيضاء، الطبعة الاولى ١٩٨٥م.

(١٥) العذرى (ابو العباس احمد بن عمر بن انس المعروف بأبن الدلائى)

ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م.

- نصوص من الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك. تحقيق د.عبد العزيز الاهوانى، مطبوعات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٦٥م.

(١٦) ابن غالب (الحافظ محمد بن ايوب الاندلسى)

عاش فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)

:قطعة من كتاب فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس تحقيق د. لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية. المجلد الاول الجزء الثانى، نوفمبر ١٩٥٥م.

(١٧) ابن القطان (ابو الحسن على بن محمد الكتامى)

ت ٦٢٨هـ/١٢٣١م

-نظم الجمان فى أخبار الزمان نشر وتحقيق د. محمود على مكى، الرباط ١٩٦٤م.

(١٨) ابن القوطية (ابو بكر محمد بن عمر القرطبى)

ت ٣٦٧هـ/ ١٩٧٧م

-تاريخ افتتاح الاندلس. تحقيق عبد الله انيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م.

(١٩) ابن الكردبوس (ابو مروان عبد الملك التوزرى)

:تاريخ الاندلس، وهو قطعة من كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء، تحقيق د. احمد مختار العبادى، مدريد ١٩٧١م.

(٢٠) المراكشى (عبد الواحد بن على)

ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م

-المعجب فى تلخيص أخبار المغرب.

نشر الاستاذان محمد سعيد العريان، ومحمد العربى العلمى، القاهرة ١٩٤٩ م.

(٢١) المقرى (شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد التلمسانى)

ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م.

-نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق الاستاذ محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٩

(٢٢) مؤلف مجهول (عاش فى القرن الرابع الهجرى)

-اخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، نشره دون لافونتى القنطرة، مدريد ١٨٦٧م.

(٢٣) مؤلف مجهول

-الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية.

-عنى بنشره السيد البشير الفورتى، تونس، ١٣٢٩هـ

(٢٤) مؤلف مجهول

-مدونة تاريخية من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر نشرها ليفى بروفنسال وغرسية غومس تحت عنوان:-

Una cronica anonima de ABD- Al - Rahman 111, Al- Nasir, Por Ievi Provencal, Emillio Garcia Gomez Madrid, Granada, 1950

(٢٥) النويرى (احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى)

ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م.

-نهاية الأرب فى فنون الأدب - الجزء الثانى والعشرين نشر جاسبار راميرو، غرناطة ١٩١٦ - ١٩١٧م.

ثانيا : المراجع العربية الحديثة:

(١) إشباخ (يوسف)

-تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ترجمة الاستاذ محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٥٨م.

(٢) حسين (د. حمدى عبد المنعم محمد)

-دولة بنى برزال فى قرمونة مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ١٩٩٠م.

-اسرة بنى جامع ودورها فى عصر الموحدين فى المغرب والاندلس.

-مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية . العدد( ) ١٩

(٣) سالم (د. السيد عبد العزيز)

-تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس، بيروت ١٩٦٢م.

-قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس، جزءان، بيروت ١٩٧١ - ١٩٧٢م.

(٤) عاشور (د. سعيد عبد الفتاح)

-اوربا العصور الوسطى، الجزء الاول.

-التاريخ السياسى، الطبعة السابعة ١٩٧٨م.

(٥) العبادى (د.احمد مختار)

: دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس،

الطبعة الاولى، الاسكندرية ١٩٦٨م.

(٦) عنان (أ. محمد عبد الله)

-دولة الاسلام فى الاندلس، فى قسمين،

الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٦٠م.

-دول الطوائف

الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٩م.

-عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس الطبعة الاولى،

القاهرة ١٩٦٤م.

(٧) مؤنس (د.حسين)

-فجر الاندلس، دراسة فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى الى قيام

الدولة الاموية، الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥٩م

ثالثا : المراجع الاوربيـــة:

Aguado Bleye:

Manual de la historia de Espana T, I, Madrid, 1947

Arellano - R.Ramirez de :-

Historia de cordoba, ciudad real, 1915 - 1919.

Dozy- R.

Histoire des Musulmans d'Espagne, 3, vols, Leyden 1932

Recherches Sur l'Histoire et Litteratur de l'Espagne pendant le Moyen age, leyden, 1886.

Lafuente-M.

Historia general de Espana, Barcelona, 1899.

Levi-Proencal

Histoire de l'Espagne Musulmanes 3 vols, Pais, 1950.

Miranda-Ambrasio Huici

la invasion de los Almoravides y la batalla de Zalaca, Hesperis, Annee, 1953, tome, XL, Paris.

Las Grandas batallas de la Rwconquista, Madrid, 1956.

Political del imperio Almohade-tetuan 1957 Historia.

Prieto y vives-Antonio:

Los reyes de taifas, Estudio Historico Musulmanes espanoles en el siglo v de la hegria, Madrid, 1926.

Pidal-Ramon Menendez:

Espana del cid, Madrid, 1947.

وادى الجمار
بجريط
الليطله
المليره
(الوادى الأبيض)
بلنسية
شاليه
ودانيه
قلعة رباح
البسيل
وادى يانه
بجر الروم
(البحر الأبيض المتوسط)
مرسيه
نهر الوادى الكبير
قرطبه
اشبيليه
غرناطه
المريه
مالقه
الجزيره الخضراء